

الإدارة العامة للثقافة والنشر
سلسلة دعوة الحق
كتاب شهري محكّم

البناء التربوي للمجتمع المسلم الفعّال

د . هاشم بن السيد علي الأهدل

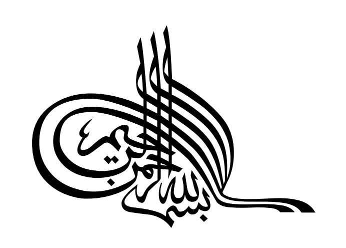
السنة الرابعة والعشرون العدد (٢٣١)
العام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

البناء التربوي
للمجتمع المسلم الفعّال

تأليـــــف

د. هاشم بن السيد علي الأهدل

جامعة أم القرى - مكة المكرمة



مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن القرآن الكريم هو المنهج المرتضى والدليل المجتبى للبشرية إلى قيام الساعة ، وهو المرجع للمسلمين في جميع شؤون حياتهم، ولجميع ما يخص مجتمعاتهم . وتعتبر قضية بناء المجتمعات من القضايا الحيوية المعاصرة التي تسعى الدول على اختلاف مبادئها إلى دعمها مادياً ومعنوياً ، ويتم هذا الدعم من قبل الجهات السياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها.

لقد جاء الإسلام للعالم بمفاهيم ومبادىء جديدة و تربى أتباعه عليها فغيرت مجرى حياتهم حين تمثلوها في واقعهم ثم نشروها في أرجاء المعمورة .فلم يحمل المسلمون مشعل الحضارة وينطلقوا من جزيرتهم العربية يحملون هذا المشعل وهم خاويي الوفاض من تربية حضارية قوية ، بل إن الواقع التاريخي يثبت عكس ذلك . حيث جاء الإسلام بنوره ومنهجه الفريد فغير وجه التاريخ وقلب الأوضاع وأصلح المفاهيم وظهرت آثار التربية الإسلامية الحضارية . وظهر في الأرض آثار تلك التربية وسادوا الشعوب بالعدل والأمان .

قال تعالى : {إِنَّ الْأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (الأعراف: من الآية١٢٨).

لم يكن لأي من التجمعات البشرية في ذلك الحين القـدرة على إخراج مثل تلك الحضارة قبل بعثة محمد ﷺ . فقـد كانـت تلك المجتمعات قبل الإسلام تعيش حالة من الفوضى العارمة والفساد الخلقي الذي عم و طم كل البقاع والأرجاء ،وشـمل جميع النواحي والمجالات وظهرت آثاره على الأمم والشعوب.

فمن ناحية العقائد والمعبودات فقد انتشرت الأصنام عندهم ، والأعراف الجاهلية، والقوانين الوضعية ،والأحكام الجائرة .أما الأصنام رموز الضلالة و الخبالة والدجل فكان انتشارها رهيباً منذ جاء بها عمرو بن لحي الخزاعي إلى جزيرة العرب واستوردها من بلاد الشام التي كانت هي الأخرى تغط في ظلمات الشرك وعبادة الأوثان . وكان حول الكعبة المشرفة ما يزيد عن ثلاثمائة وستين صنماً يتقدمها هبل ،كسرها رسول الله ﷺ جميعاً يوم فتح مكة .وكان لكل قبيلة صنم خاص يتوسلون عنده في السراء والضراء ، منها ما ذكره المولى عز وجل في كتابه الكريم : { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى} (النجم:١٩-٢٢) . وفي سورة نوح يقول تعالى : {وَقَالُوا لا

تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالاً} (نوح: ٢٣- ٢٤) .

وقد عظمت تلك المجتمعات المتخلفة حضارياً هذه الأصنام فكانوا يهلون منها للحج والعمرة ويفتخرون بها على من عداهم من القبائل واتخذوا لها السدنة والحجاب والحراس. وكل تلك مظاهر دالة على المستوى الفكري الضحل الذي عاشته الجاهلية قبل بروز الحضارة الإسلامية .وقد جاء الإسلام بشهادة التوحيد وإفراد العبادة والحكم لله سبحانه ، قال تعالى {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ .وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} (الاخلاص١-٤) .

وأما الأوضاع الاجتماعية فكانت في حالة يُرثى لها سواءً في وأد البنات وهن أحياء أو انتشار صور الزنا والعهر والفجور وشرب الخمور .ففي جزيرة العرب مثلاً لم يكن للمرأة أي دور يُذكر وكانت تُعد من سقط المتاع وتُحتقر لكونها امرأة . وعندما جاء الإسلام رفع مكانة المرأة وربى أتباعه على النظرة الصحيحة للجنسين وخاصة المرأة وعاب على الأمم تلك النظرة الجاهلية الممقوتة فقال تعالى : {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً} (النساء:١٢٤) . وقال : {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (النحل:٥٨-٥٩) .ومن مظاهر التربية الحضارية بالنسبة للمرأة مساواتها في الإنسانية والجزاء الأخروي مع الرجل ، قال تعالى :{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} (الأحزاب:٣٥) .

أما في مجال العلاقات الدولية فلم يكن للجوار والقربى حقوق ومواثيق، ولذا كثرت الحروب والمناوشات والاعتداءات بين أبناء الإقليم الواحد وأبناء القبيلة الواحدة .ومثال ذلك المعارك الطاحنة بين الأوس والخزرج ، والوقائع بين قبائل مضر نفسها . ولم تكن هذه الحروب من أجل مبادىء أو أهداف عليا وإنما فقط من أجل العصبية أو تحصيل المتاع الدنيوي. ومن الوقائع المشهورة في التاريخ حرب الفجار والتي كان طرفاها قريش وكنانة من جهة وقيس عيلان من

جهة أخرى . وهذه الحرب هي التي أدركها الرسول ﷺ وهو لما يبلغ العشرين من عمره، وكذا ما حدث بين قبيلتي بكر وتغلب في حرب البسوس، وبين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء،والأمثلة على ذلك متعددة .

ولما جاء الإسلام وتربت الشعوب تربية حضارية عالية المستوى ، زالت تلك المظاهر الهمجية وحل بدلاً عنها رباط الأخوة المتين، وأصبح المجتمع المسلم مثالاً للأخوة والترابط . يقول تعالى ممتناً على البشرية جمعاء أن هيأ لهم هذا الدين العظيم وكان من ثماره الأخوة الإيمانية : { وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(آل عمران: من الآية١٠٣ } .

أما النشاط الاقتصادي في تلك البيئة الجاهلية فقد انتشرت صناعة الأسلحة وبيعها وإحضار العمال المهرة لمثل هذه الصناعة وذلك لحاجتهم إليها في الحروب والغارات . وكانوا يعتبرون السلب والنهب من الموارد المالية المهمة التي يفتخرون بها و يتفننون فيها ولا يستغنون عنها ، ومن المظاهر السلبية في الاقتصاد وجود ظاهرة الربا وأكل أموال بعضهم بالباطل والقوة والجبروت . وكانت هناك بعض مظاهر

التمدن المادي كالنشاط الزراعي والعلم الفلكي والطب النباتي والبناء العمراني .

هذا حال المجتمع العربي في الجزيرة قبل الإسلام ؛ أمة عاشت من أجل أن تأكل وتقتات وأمة عاشت من أجل مبادىء تافهة، وعاشت وهي تركع للشجر والحجر والشمس والقمر ، وعاشت لكي تقضي هذه الحياة الدنيا كما تقضيها الأنعام بدون هدف أو غاية سوى ماذكر .وإن هذه الصورة الموجزة تبين مدى حاجة العرب في تلك الفترة إلى تربية حضارية تزيل عنهم الآفات وترفعهم إلى مستوى البشر .

والحضارة الإسلامية لم تشرق شمسها على بلاد المجتمع العربي فقط ، بل شع نورها على أرجاء العالم في ذلك العصر المظلم ، ولذا لابد من إلقاء نظرة مختصرة للوضع الحضاري في الأمم المختلفة التي سبقت ظهور النور الإسلامي كي نعرف أثر الحضارة الإسلامية وفضلها على الإنسانية ، ولكي ندرك أيضاً البناء التربوي الإسلامي الذي أثر وغير أفكار تلك الشعوب وتصوراتها. فأوجدت لديهم التكوين العقلي الممتاز الذي أهلهم لإيجاد الحضارة والمدنية .

فمن الناحية العقدية لم تخل الحضارات السابقة من بقايا أديان- كاليهودية والنصرانية - كان لها شأن في ظهورها

ورفعتها، ولم يترك الله عزوجل البشرية يوماً من الدهر هملاً أو في طي النسيان، بل إنه{وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ}(فاطر: من الآية٢٤) . وهو سبحانه لم يحاسب ويعاقب أمة من الأمم إلا بعد إرسال المنذرين ، قال تعالى : {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}(الاسراء: من الآية١٥) . ولكن حدوث الخلل والتقصير من بني البشر أنفسهم فغيروا وبدلوا فأصبحوا يتخبطون في غياهب الضلالة والعمى والانحراف .

وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة أو جماعة تلقت تربية حضارية أو تستحق وصفها بالتحضر. ولذلك شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يبعث لها رسولاً بشراً يردها إلى الجادة ويقيمها على صراط مستقيم و ينشىء منهم وبهم ولهم حضارة باسقة الأشجار وارفة الظلال سميت فيما بعد بالحضارة الإسلامية . ولقد أدى البناء التربوي الإسلامي دوره في جعل المسلمين الأوائل يعملون بالشريعة أمراً ونهياً وعلماً وعملاً ، عقيدةً وعبادةً فكانوا أسعد الخلق وأعز الأمم و أنشأوا أرقى حضارة وأفضل مجتمع.

ولوجود هذه المقومات الفريدة اتسعت رقعة المملكة الإسلامية من البحر الأطلنطي إلى جدار الصين وبسطت سلطانها في فترة وجيزة على عدد من القارات ، كما ضمت بين

أرجائها مختلف القبائل والبيئات والشعوب . ومع هذا التنافر البيئي، إلا أن الجميع على تباعد بلدانهم واختلاف لغاتهم وتباين أجناسهم كانوا يحملون جوازاً واحداً هو شهادة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، الأمر الذي ساهم في تكوين وحدة فكرية حضارية في نفوس أبناء الأمة ليصبحوا بُناة حضارة لخدمة الإنسانية.

فالسلوك الإنساني الذي تميز به المجتمع المسلم تأثر مباشرة بالدين الذي اعتنقه أفرادها وتربوا عليه . فهذه الحضارة كان أهم مقوماتها وعناصرها ارتباطها بالدين قلباً وقالباً، وكان الدين هو الذي تربت عليه الجماعة الأولى وربت عليه من بعدها ممن شاركوا في بناء الحضارة أو عاشوا في ظلها . والاهتمام بتربية الإنسان كان من أهم ركائز الحضارة الإسلامية .ذلك أن هذه الحضارة ربانية المصدر فلا مجال للأهواء والرغبات والتسلط البشري من الإنسان على بني الإنسان .ولذا أصبحت الكرامة الإنسانية محفوظة في ظل هذه الحضارة بينما كانت مفقودة في غياهب التفاوت الطبقي والعنصريات المفرقة بدون حق والتي سادت في الحضارات والأنظمة الأخرى . وبفضل شهادة التوحيد أُعطي العقل حريته ومكانته فلم ينحرف في تقديس المخلوقات الكونية

الجامدة ، ولم يبالغ في تعظيم الأشخاص وذوات الأرواح كما فعلت وتفعل الحضارات الأخرى. وساهمت العقيدة التوحيدية في صرف الطاقة العقلية نحو توحيد الخالق والتوجه إليه في السراء والضراء .

وكان منهج التربية منبثقاً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومفردات هذا المنهج الحضاري تتألف من جزأين . الجزء الأول هو تعاليم الإسلام وشعائره وأحكامه ، والجزء الثاني هو التطبيق العملي لذلك المنهج الحضاري ومضمونه أفعال الرسول ﷺ وتقريراته ، ويضاف إليه فهم السلف الصالح الذين ساروا على هدي معلم الحضارة الأول محمد ﷺ . وقد كون السلف رضوان الله عليهم تراثاً ضخماً وتاريخاً زاخراً بالثروات العلمية والمنجزات الحضارية، الأمر الذي يحتم على الأمة أن تستفيد منه في طريق نهضتها وقيامها من كبوتها . ومما يدعم ضرورة هذه الاستفادة أن هذه الحضارة امتازت بتربية أفرادها على عدم الفصل بين الجانب المادي والمعنوي . وهذه الميزة تفتقدها الحضارات الغابرة والمعاصرة . كما تمتاز بأنها تولي القيم والأخلاق عنايةً كبيرة وتهتم بها أيما اهتمام . ويؤكد هذا الجانب أن الأمة بمجموع أفرادها كانت تتربى على القيم والأخلاق نظرياً وعملياً من خلال الوازع السلطاني والوازع

القرآني و اللذين أكدا الالتـزام بالكتـاب والسـنة . بيـنما يـرى المتأمل في حال الحضارات الغابرة أنها ما دمـرت ولم تضـمحل إلا بسبب التهاون في هذا الجانـب أو إهمالـه .وبنـاء الحضـارة يتطلب التركيز على التربية الأخلاقية لأن في ذلك ضماناً –بإذن الله – لبقاء الحضارة وتمددها وفعاليتها.

وتتصف الحضارة الإسلامية أيضاً بأنهـا شـاملة وميـدانها جميع مناشط الحياة فتربى المسلمون فيهـا عـلى العمـل بتـوازن دقيق بحيث لا يطغى جانب على آخـر ، فـلا يطغـى جانـب الجسد على الروح ولا العقل على الجسد ، وهذا التوازن مما هو مظنة سمو الحضارة من جميع جوانبها .

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق وأرسل إليهم الرسـل وأنزل إليهم الكتب والشرائع الشاملة والمناسبة لحياتهم وتـرك مجالاً للاجتهاد والتجريب في حدود الضـوابط المسـموح بهـا . وإن الفطرة الإنسانية أوالفكـر البشرـي لا يمكـن بمفـرده أن ينتج حضارة كاملة ، وذلـك لمـا هـو مركـب في الإنسـان مـن الجهل والنقص والهوى التي تزول في ظل تطبيق المنهج الرباني . وأي حضارة غير الإسـلام مهـما بلغـت فلـن تصـل إلى شيء يُذكر لأنها نتاج بشري مجرّد عن التوجيهات الربانية .أما النظرة الصحيحة لما في الحضـارات مـن أشـياء حسـنة في المعـاملات

والأخلاق فهي إنما جاءتهم من بقايا الرسالات الصحيحة قبل التحريف أو من الإسلام من خلال الاتصال عن طريق التجارة أو الحروب أو غيرها .

وقد تعززت التربية الشمولية لأبناء المجتمع المسلم في تلك الحقب النيرة ، وذلك تحقيقاً للمنهج التربوي المتمثل في آيات القرآن المتلوة والتي منها : {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الأنعام:١٦٢) . أما الثمرة التي تحصلت من تطبيق المنهج التربوي المعتمد على الكتاب والسنة فهو التفوق الحضاري والإبداع النهضوي، وتحقيق الفعالية في مختلف مجالات الحياة مصداقاً لقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الأعراف:٩٦) . والواقع المعاصر يشهد أن جذوة التربية الإيمانية خفت في كثير من النفوس، وتأثر بذلك منسوب التقوى في الأفئدة، فكانت النتيجة التكذيب ببعض الكتاب والسنة، ومن ثم إغلاق بركات السماء والأرض وحصول التخلف الحضاري، بينما عندما تمسك المسلمون الأوائل بهذين المبدأين الإيمان والتقوى انهالت عليهم البركات بفضل الله وكرمه. ولكن المؤسف أن كثيراً من أبناء جلدتنا وممن

يتكلمـون بألسـنتنا، وممـن يعيشـون في مجتمعاتنـا الإسـلامية، يجهلون أسرار تفوق الحضارة الإسـلامية ويجهلـون الجوانـب الفعالة التي أبدع فيها المسلمون، بل إن هذا الجهل عم المثقفين وحملة الشهادات . وقد نجد لهم العـذر حـين نراجـع المنـاهج الدراسية والصحف اليومية والوسائل الإعلامية والتي لا تجد فيهـا مجـرد إشـارة عـابرة أو نـزراً يسـيراً عـن تلـك الحضـارة العظيمة.

ولذلك فإن العودة إلى تلك الفترة الزمنية التي تفوق فيهـا المجتمع المسلم، يحتاج من المربين أن يعيـدوا بنـاءهم التربـوي انطلاقاً مم انطلق منه المسلمون الأوائل، وأن يبرزوا للأجيـال تلك النماذج الحية والنصوص الدامغة التـي تحـث عـلى تحقيـق الفعالية في كل جوانب الحياة .

***

موضوع البحث

يبين هذا البحث البناء التربوي من منظور التربية الإسلامية في إقامة المجتمع المسلم، وذلك وفق توجيهات القرآن وتقريراته، والسنة وما ثبت فيها عن رسول الله ﷺ، ليكون مجتمعاً مؤثراً في مسيرة الحياة المعاصرة .

أهميــة البحث :

١ – حاجة المجتمعات المسلمة للمنافسة في ميادين الحياة المعاصرة.

٢ – ضرورة الاستفادة من التربية للتغيير نحو الأفضل .

٣ – توجيهات القرآن التربوية التي تدعو لتعمير الكون والاستفادة من مخزونه وأسراره.

أهداف البحث :

أولاً – توضيح ميادين ومجالات تفوق المجتمع الإسلامي من خلال آيات القرآن الكريم .

ثانياً – بيان دور التربية الإسلامية وضرورتها لبناء هذه الميدان أمام الأجيال .

ثالثاً – حث الأجيال للمشاركة في تحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع مجالات الحياة المعاصرة.

رابعاً – حث المتربين على المشاركة الإيجابية والإسهام في تقدم المجتمع وتفوقه .

منهج البحث :

يستخدم البحث المنهج الاستنباطي[1] الذي يقوم على النظر في نصوص القرآن والسنة ، بهدف استخراج المبادىء والأساليب المؤكدة لموضوع البحث .

***

(١) المرشد في كتابة البحوث التربوية ، ص٤٢ .

الفصل الأول
التربية الإسلامية والمجتمع

أولاً - القرآن الكريم وتنمية المجتمع

ثانياً - المجتمع والتربية

ثالثاً - ميادين التفوق في المجتمع المسلم

تمهيد :

يتحدث هذا الفصل عـن مقـدمات أساسـية في موضـوع البناء التربوي للمجتمعات المسلمة في ضوء القـرآن الكـريم ، ويقدم الدليل الواضح على أن القـرآن الكـريم يحـوي الهدايـة والرشاد للبشرية في جميع مجالات حياتهـا، وموضـوعات هـذا الفصل هي :

أولاً - القرآن الكريم وتنمية المجتمع.

ثانيـاً - المجتمع والتربية.

ثالثـاً - ميادين التفوق في المجتمع المسلم.

وفيما يلي توضيح هذه المقدمات الأساسية :

أولاً - القرآن الكريم وتنمية المجتمع :

نزل الوحي الإلهـي عـلى محمـد بـن عبـدالله ﷺ يحمـل في مضامينه المنهج القويم والسبيل الرشيد للبشرية، وجاء القرآن الكريم بالحلول الشاملة لكل القضايا والمستجدات التي تواجه الأفراد والمجتمعات، وقد تربى على هذا المنهج جيل الصـحابة رضوان الله عليهم والذين بفضل الله ثم بهم تغير وجه التاريخ. وهذا الفعل التغييري والتوجيهي ليس خاصاً بعصر الصـحابة

الذين نزل عليهم القرآن الكريم ، وإنما هو لكل الأزمان والعصور، ولكل الأمكنة والبيئات، ولكل ما تحتاجه المجتمعات. قال تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} (الأنعام،٣٨). يقول الإمام الشوكاني: " قيل إن المراد به القرآن: أي ما تركنا في القرآن من شيء من أمر الدين، إما تفصيلاً أو إجمالاً" [٢]. وهذا المعنى موجود أيضاً في قوله تعالى : {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} النحل٨٩ .

ولما جاء الإسلام إلى المجتمعات البشرية، كانت تعيش في غياهب الجهل والضلال ، فنقلها تلك النقلة الفريدة التي جعلت أفراده يتمتعون بالرقي والسمو، وكان القرآن يتنزل على مجتمع الصحابة يعلمهم ويوجههم حتى استطاعوا بفضل الله أن يكونو أفضل مجتمع في التاريخ . وحينها بنى المسلمون مجتمعاً قوياً وحضارةً سامقةً، شهد بفضلها وقوتها الأعداء قبل الأصدقاء، وما زالت البشرية إلى اليوم تستفيد من منجزات تلك الفترة الزاهرة.

واحتوى القرآن الكريم على النظم والقوانين المؤدية إلى إعمار المجتمعات وتنميتها، بل وتعددت في القرآن مجالات التنمية

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"، ج١ص١١٥ .

والتفوق الحضاري، والذي هو ميدان تنافس بين الأمم والشعوب.

وحيث إن مجالات الحياة التي أرشد إليها القرآن متنوعة، فإن واجب هذه التربية أن تحث الأجيال على بذل الجهود والأوقات للانخراط في هذه المجالات، وتحقيق أهداف المجتمع من خلالها، قال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} التوبة ١٠٥. قال ابن كثير: " قالت عائشة رضي الله عنها :"إذا أعجبك عمل امرىء مسلم فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "[٣]. فمن واجب الجميع أن يعمل ويجتهد، وسيلاقي كل عامل نتيجة جده واجتهاده، إن عاجلاً أو آجلاً .

كما إن المتأمل في القرآن الكريم يجد إشارات ودلالات عن ميادين تنمية المجتمع المسلم، وجعله متفوقاً على غيره من المجتمعات، وقد أودع الخالق في هذا الكون ما يعينه على ذلك، وسخر له من الإمكانات والقدرات ما ييسر له تحقيق مبتغاه. ويكثر في القرآن استخدام كلمة "التسخير" بمعنى الإعطاء والتوفير ، وتؤكد الآيات القرآنية على هذا المفهوم في كثير من

---

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٢ص٣٨٧ .

المواضع . يقول تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} الأعراف ٥٤

وقال أيضاً: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} لقمان ٢٠ .

يقول الطاهر بن عاشور : "والتسخير: تسهيل الانتفاع بدون مانع، وهو يؤذن بصعوبة الانتفاع لولا ذلك التسخير، وأصله تسهيل الانتفاع بما فيه إرادة التمنع، مثل تسخير الخادم، وتسهيل استخدام الحيوان الداجن من الخيل والإبل والبقر والغنم ونحوها، بأن جعل الله فيها طبع الخوف من الإنسان مع تهيئتها للإلف بالإنسان، ثم أطلق على تسهيل الانتفاع بما فيه طبعه، أو في حالة ما يُعذر الانتفاع به لولا ما ألهم الله إليه الإنسان من وسائل التغلب عليها، بتعرف نواميسه وأحواله، وحركاته، وأوقات ظهوره، وبالاحتيال على تملكه مثل صيد الوحش، ومغاصات اللؤلؤ والمرجان، ومثل آلات الحفر والنقر للمعادن، ومثل التشكيل في صنع الفلك والعَجَل، ومثل التركيب والتصهير في صنع البواخر، والمرجيات

والصياغة، ومثل الإرشاد إلى ضبط أحوال المخلوقات العظيمة من الشمس والقمروالكواكب، والأنهار والأودية والأنواء، والليل والنهار، باعتبار كون تلك الأحوال تظهر على وجه الأرض، وما لايُحصى مما ينتفع به الإنسان مما على الأرض، فكل ذلك داخل في معنى التسخير"[٤].

واللفظ القرآني وهو يؤكد على هذا المفهوم، يبين عظم هذه النعم التي أنعم بها على البشرية، ويبين للمسلمين القارئين للقرآن أن عليهم التفكر في آياته المتلوة ، والتفكر أيضاً في آياته المبثوثة في الآفاق والأنفس للعمل بمضمونها ومقتضاها.

ثانياً – المجتمع والتربية :

يتعاضد الأفراد فيما بينهم لتكوين ما يسمى بالمجتمع، فهم يشعرون بالانتماء إليه، والاتصال بأفراده، والتمسك بقوانينه وأنظمته، واتباع السلطة الضابطة له ، والحفاظ على مقتنياته، والدفاع عنه. ومن تعريفات المجتمع أنه "مجموعة من الأفراد تقطن على بقعة جغرافية معينة، محدودة من الناحية السياسية، ومعترف بها، ولها مجموعة من العادات والتقاليد المتبادلة التي أساسها الدين واللغة والتاريخ "[٥].

---

(٤) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ج١٧ص٢٣١ .

(٥) معجم علم الاجتماع، ص٢٣٠ .

أما تعريف المجتمع المسلم فهو " ذلك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة، وقوانينه القرآنية، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع وإن تكوَّن من أقوام متعددة وألسنة متباينة خصائص مشتركة، وأعراف عامة، وعادات موحدة"[٦].

وتتشكل الدول اليوم من عدد من المؤسسات والنظم الاجتماعية والتنظيمات الإدارية ، والتي تكون فيما بينها الدعامات الأساسية لها ، والتي يحتاجها المجتمع لتحقيق كيانه ووجوده،وتتسابق المجتمعات المعاصرة لتفعيل مصطلحات التنمية والنمو لدى أفرادها ومؤسساتها من خلال الأنظمة والقوانين، ومن خلال الموارد المالية والبشرية . وكل ذلك من أجل أن تنال مكانةً مرموقةً بين الدول. وقد اكتشفت تلك الدول أن العمل التربوي يعتبر من الوسائل القوية المعينة لتحقيق ذلك الهدف.

إن التربية عموماً تؤدي أدواراً متعدد الفائدة للأفراد والمجتمعات ، ويساهم علم الاجتماع التربوي خاصةً في تفعيل العلاقة بين التربية و المجتمع. وتبرز العلاقة بين التربية والتنمية الشاملة من خلال علم الاجتماع التربوي الذي "

(٦) المجتمع الإسلامي ، ص١٧ .

يصف ويفسر الأنظمة الاجتماعية والجماعات، والعمليات، والعلاقات التي في سياقها يكتسب الفرد شخصيته، وينظم خبراته، وهي أيضاً التي تنظم فيها الجماعة نفسها، وتعرف مشكلاتها، وبعبارة أخرى فإن علم الاجتماع التربوي يهدف إلى الكشف عن العلاقات بين العمليات التربوية والعمليات الاجتماعية، أي أنه العلم الذي ينصب على الجانب التربوي للحياة الاجتماعية "[٧].

وتهتم التربية من خلال علم الاجتماع التربوي بإصلاح المجتمعات، ودعم الجوانب الإيجابية التي تساهم في تقدم المجتمع وتطوره، وهي أيضاً تعزز من تكافل أفراده بمختلف شرائحهم وطبقاتهم، وجعله نسيجاً واحداً ولحمةً متكاملة. كما أن التربية تقوم بعملية التطبيع الاجتماعي، حيث تتوثق صلة الأفراد بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة، ويؤدون فيها أدواراً إيجابيةً نحو مجتمعهم وأمتهم، ويشاركون في دفع عجلة التقدم إلى الأمام، ومن ناحية أخرى فإن هذه المؤسسات تقوم بتفعيل جوانب التنمية والبناء في شتى المجالات والتخصصات لتحقيق الأهداف التنموية، " فالعلاقة قائمة بين التربية الإسلامية والتنمية، فكلاهما يهتم ببناء الإنسان

(٧) علم الاجتماع التربوي ، ص١٧ .

والمجتمع، لإحداث التقدم المنشود، مـن أجـل تحقيـق غايـات الإنسان المسلم واستثارة إمكانياته الذاتية ، لتحقيق إنسـانيته ، وتحقيق الوعي لديه" [8].

ولن تكون التنمية الحقيقية إلا إذا حكم الإسـلام بجميـع شـعائره وشرائعـه في هـذه التنميـة، وأن يظهـر أثـر القـرآن وتوجيهاته في مختلف المجالات التنمويـة ، وأن يكـون مسـتنداً عليـه في الميـادين الشخصـية للأفـراد ، والميـادين العامـة في المجتمع، والميادين التنظيمية بين الدول، قال تعـالى : {يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} البقرة٢٠٨.

يقـول أحـد المفكـرين " ولعـل مـا تحتاجـه المجتمعـات الإسلامية لإحداث تنمية حقيقة هـو أن يحكـم الإسـلام هـذه التنمية ، ويوجهها في جميع أبعادها وجوانبها المادية والمعنويـة ، وأن تتخـذ مـن التربيـة الإسـلامية أداةً لتحقيقهـا، فالإسـلام عقيدة الأمة ومنهج حياتها ، وله معها تجربة ماضية ، نقلتها من حياة التشرذم والبداوة إلى حياة الحضارة والوحـدة ، ،تحولـت بفضله إلى قائدة لأعظم تنمية على مر العصور، تجاوزت ثمارها

---

(٨) التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي ، ص ٢٥ .

حدود المجتمعات الإسلامية إلى الإنسانية جمعاء"[٩] . والتربية الإسلامية باستطاعتها أن تعد الأجيال للقيام بهذه المهمة ، وإحياء روح التنافس فيما بينهم للوصول إلى الهدف المنشود .

ونُلخص علاقة التربية الإسلامية بتنمية المجتمعات فيما يلي :

١ – تقوم التربية بإبراز المؤسسات التربوية ودورها في تنمية المجتمعات .

٢ – إبراز المجالات والتخصصات التي تساهم فعلياً في تنمية المجتمعات .

٣ – بيان الأسس النظرية والعملية لمفهوم البناء التربوي من خلال التراث الثقافي للأمة .

٤ – اتخاذ النموذج الإسلامي كحل وحيد لكل المشكلات التنموية التي تحتاجها المجتمعات الإسلامية في طريق النمو والتقدم .

ثالثاً – ميادين التفوق في المجتمع المسلم

وفي المجتمع المسلم ينبغي على مسؤوليه وموجهيه أن يربوا الأجيال على التوجه إلى ميادين العلم والمعرفة والحضارة،

---

(٩) أصول التربية الإسلامية ، ص٢٧٤ .

والاستفادة من توجيهات الإسلام ومبادئه لتوظيفها في خدمة المجتمع، والسعي لإعادة مجد الأمة إلى ما كانت عليه في عصورها الزاهرة .

والتربية الإسلامية تحقق التكامل والتوازن لإنسان الحضارة ، وتحقق النمو الشامل لمجتمع الحضارة ، وبهذا تعطي العالم عطاءات متنوعة تلبي الحاجات المادية والمعنوية والنفسية لشعوبه .

وأشار عدد من الباحثين إلى الميادين عند استعراض المجالات الحضارية التي نبغ فيها المسلمون في عصورهم الزاهرة . وعندما ذكر حاجي إبراهيم منجزات الحضارة الإسلامية في ميادين العلوم والفنون قال: " وهبت الحضارة الإسلامية هذا العالم – طوال أربعة عشر قرناً – عطاءً متنوعاً وأثرته بميراث حضاري من المنجزات الفكرية والفنية ... ومن ثمار المعمار والهندسة والطب والخطوط .. والفلسفة والشعر ما أضاف إلى رصيد الدنيا الحضاري بصورة أذهلت الناس وملأتهم بالعجب " [١٠]. وهذه الثمار تمثل بعض الميادين التي نبغ فيها المسلمون الأوائل.

---

(١٠) منجزات الحضارة الإسلامية في ميادين العلوم والفنون، ج١ص٦٥٧.

وعند التخطيط للتربية الإسلامية يجب أن يوضع في الحسبان الجوانب المختلفة للحضارة، ومن القصور والخلل الاهتمام بالجوانب المادية، وإغفال الجوانب المعنوية التي تحافظ على معتقدات أبناء الحضارة وقيمهم وأخلاقهم، وتحافظ بالتالي على منجزات الحضارة من الفساد والدمار أو توجهها توجيهاً لا أخلاقياً،وقد كانت المجتمعات المسلمة –يوماً ما – هي المتفوقة على كل المجتمعات في شتى المجالات، ولا بد أن تبرز تلك الميادين للأجيال كي تزيد من حماستهم وتفعل عطاءهم في خدمة المجتمع .

ومن ناحية أخرى، فإن إبراز تلك الميادين يُظهر قدرة أفراد التربية الإسلامية على العطاء الحضاري المتميز في مجتمعاتهم، بل والمنافسة القوية لقيادة البشرية في ميادين الحكم والإدارة والاقتصاد والهندسة والطب والفلك وسائر فروع العلم . وإذا كان الشعب الياباني أوالأمريكي أو الأوربي قد ساد وتفوق في مجالات العلم والتقنية لفترة من الزمن ، فإن ارتباط التفوق والتميز والنجاح بهذه الشعوب لا يعني احتكار تلك المجالات، ولا يعني أنها أصبحت وقفاً علي تلك الشعوب ، ولا يعني أيضاً استمرار حرمان الآخرين من التفوق فيها .

ولأن الحياة لا تتوقف عند حال ، فإن المتربي المسلم بما لديه من تراث حضاري مدعوم بالكتاب والسنة يستطيع أن يتقدم الركب ويؤسس مجتمعاً متفوقاً ينافس الآخرين. وبالتربية الجادة يُثبت الطامحون من أبناء الإسلام أن سعيهم لن يتوقف من أجل بلوغ أهدافهم وآمالهم، وسيستمر الجهد والعطاء ما بقيت السماوات والأرض، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. ولأن العالم اليوم في حاجة ماسة لمن ينقذه ويقدم له ما يروي عطشه الروحي، فإن المسلم يستطيع بتربيته الحضارية أن يقدم الدواء الناجع لعلاج الروح الذي ما زالت ساحته تنتظر من يشغلها بما يلبي حاجاتها. وهناك ساحات أخرى تستقبل في كل يوم إنجازات جديدة، وعلاجاً لمشكلات قائمة، وابتكارات لتحسين المعيشة مما يبين أن المجالات ما زالت مفتوحة للمشاركة فيها والإبداع .

ولابد من القضاء على مظاهر البطالة والخمول والفساد الخلقي التي تعتبر من الأمراض الممقوتة، وتسبب الإهدار الكمي والكيفي للأيدي العاملة والعقول النشطة الذين بهم تزدهر الحضارات ، وإهمال معالجتها يوجد أرضاً خصبةً لظهور الفوضى السياسية والاجتماعية والأمنية . ولذلك تحرص كل أمة تريد القضاء على هذه العقبات بإيجاد المناخ

الملائم، وتوفير الفرص الوظيفية التي تدفع الأجيال للمشاركة في مجالات العمل المتاحة، أو التفكير في مجالات جديدة وميادين مختلفة تلبي حاجات المجتمع .

ومن هنا يمكن توسيع مفهوم العمل الصالح في الإسلام ليشمل الأمور الدنيوية والأخروية، فإذا اقترن الإيمان بهذا العمل أصبحت حياة الأفراد آمنة ميسرة . قال تعالى :{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل: ٩٧) ، قال الألوسي: " (من عمل صالحاً) : أي عمل كان، وهذا تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح" [١١]. وذكر ابن كثير في تفسيره "أن الحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت " [١٢].

أما إذا تخلف العمل الصالح تتخلف ولاية الله ونصرته وتوفيقه، كما قال تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ الله وَلِيّاً وَلا نَصِيراً} (النساء: من الآية١٢٣).

ومن ناحية أخرى فإن من معايير الحضارة السليمة التي ينشدها المجتمع أن تكون موافقة للطبيعة الإنسانية، وأن تحقق

---

(١١) روح المعاني للألوسي، ج١٤ص٢٢٦ .

(١٢) المصباح المنير في تفسير ابن كثير ،ص ٧٤٣.

حاجاته المادية والروحية والنظامية ، وأية حضارة متناقضة مع هذه الطبيعة، أو تستجيب لبعض حاجاته دون بعض فإنها لـن تـدوم كثـيراً ولـو تقـدمت في بعـض النـواحي، أو كانـت لها السيطرة لفترة من الزمن .

ولأهمية التربية الإسلامية في المجتمع، فإن عـلى المعلمـين والمربين توجيـه العقـول المسـلمة، والأيـادي المتوضـئة للبنـاء والتعمير والابتكار في مختلـف الميـادين، وللمسـاهمة في رفعـة شأن الحضـارة الإسـلامية وتحقيـق أهـداف الأمـة . وبمقـدار تشرب الأجيال بأسس التربيـة الإسـلامية وأهـدافها والعمـل بها، بمقدار ما يكون حرصهم على زيادة الرصـيد الحضـاري، ومشاركة الغير في مختلف الميادين، وسـعيهم لنيـل ذرى المجـد والسبق العالمي ، والتمكين في الأرض . وإذا استطاعت التربية الإسلامية أن تجعل جذوة الآمال والطموح متوقـدةً في قلـوب المتربين، وحافظت على بقائها قوية في أفئـدتهم، فـإن القصـور والتخلف الحاصل اليوم سيتم تجاوزه غداً بالعزيمـة والإصرار والهمة العالية .

قال تعالى : {وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }النور٥٥ .

يقول الإمام القرطبي: "هذا وعد لجميع الأمة في ملك الأرض كلها تحت كلمة الإسلام،...، واستخلافهم هو أن يملكهم البلاد ويجعلهم أهلها ،...، فصح أن الآية عامة لأمة محمد ﷺ غير مخصوصة" [١٣].

وفي هذه الآية حث لجميع أفراد المجتمع المسلم أن يستثمر جميع إمكانياته، وينوع جوانب أنشطته لتحقيق هدف التمكن في الأرض، يقول أحد المفكرين: "نجد أن الإنسان في سعيه لتحقيق هدف راحته وسعادته (الجسدية والعقلية والنفسية والروحية) يعمل في دوائر نشاط متعددة ومتداخلة نتجت من طبيعة الإنسان وتفاعله –جماعياً– مع بيئته خلال الزمن ، من هذه الدوائر هي: دائرة النشاط المعنوي والمعرفي. وتشمل الجوانب العقدية والروحية والفكرية ، ودائرة النشاط المادي وتشمل الجوانب الاقتصادية والتقنية والمعمارية ، ودائرة النشاط الإداري وتشمل النظم والمؤسسات السياسية والإدارية "[١٤].

(١٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج٦ ص٢٩٩ .
(١٤) مصطلحات و مفاهيم الحضارة ، ص١٣٥ .

إن هذه الدوائر تمثـل الميـادين المختلفـة لتنميـة المجتمـع، والتي يتم من خلالها تربية الأجيال،وبناءً على ذلك فإنه يحسن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي :

القســم الأول : الميـادين المعنويـة وهــي : الميـادين الاعتقاديـة والروحية والأخلاقية – الميادين الأدبية والفنية .

القسم الثاني: الميادين الماديـة والاقتصـادية للتربيـة الإسـلامية وهــي :الميــادين الغذائيــة والميــادين الصــناعية، والميـــادين التجاريـــة ،و الميـــادين العســـكرية ، والميادين التقنية ، و الميادين الصـحية والطبيـة ، و الميادين العمرانية .

القسم الثالث : الميادين التنظيمية والتشريعية و هي : الميادين التشريعية والميادين التنظيمية والميادين الاجتماعية.

وفي هذا التصنيف قد يكون فيـه تـداخل مـن بعـض النواحي، وقد يصعب الفصل، ولكن اقتضت طبيعـة الدراسة هذا التصنيف من أجل تحقيق أهدافها.

وهـذه الأقسـام الثلاثـة تمثـل الإنسـان وحياتـه المعيشـية ، فالجانب المادي يمثـل جسـم الإنسـان ومـا يقـيم أوده وكيانـه، والجانب المعنوي يمثل روح الإنسان وعقله، والجانب التشريعي يمثل تنظيم حياته من الناحية المادية والروحية، بحيث يسير كـل

جانب بانتظام واعتدال ودون إفراط أوتفـريط. ولما غـاب هـذا التنظيم الدقيق حصل التخبط والفوضى في الحضـارات السـابقة وأدى هذا الخلل إلى انهيارها واضمحلالها.

ونناقش في الفصول التالية تفريعات هذه الميادين، وكيفية تطبيقها في المجتمع المسلم، ودور التربية الإسلامية في ذلك .

***

الفصل الثاني
الميادين المعنوية في المجتمع المسلم

تمهيد

أولاً - البناء التربوي في الميادين الاعتقادية والأخلاقية .

ثانياً - البناء التربوي في الميادين الأدبية والفنية .

تمهيد :

الميادين المعنوية هي الميادين التي تلامس الجوانب الوجدانية في الإنسان، وهي التي تميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات، وتعتمد على أصل العقيدة الإسلامية التي جاء بها نبي الرحمة محمد بن عبدالله ﷺ ، وربى صحابته الكرام عليها، فكونوا خير مجتمع ، وأسسوا أفضل حضارة عرفها التاريخ .

والبناء العقدي للمجتمع المتحضر أساسه شهادة التوحيد، وقوامه الحكم بما أنزل الله، قال تعالى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}آل عمران١٨ .

يقول الطاهر بن عاشور : "ذلك أن أساس الإسلام هو توحيد الله، وإعلان هذا التوحيد، وتخليصه من شوائب الشرك، وفيه تعريض بالمشركين والنصارى واليهود... (قائماً بالقسط) وقد أقام الله القسط في تكوين القوام على نظمها، وفي تقدير تغاير الأنواع، وإبداع أسباب المدافعة في نفوس الموجودات، وفيما شرع للبشر من الشرائع في الاعتقاد والعمل: لدفع ظلم بعضهم بعضاً، وظلمهم أنفسهم، فهو القائم بالعدل سبحانه، وعدل الناس مقتبس من محاكاة عدله"

[15]. وهذه الشرائع تؤثر في الجوانب العقلية والفكرية للأجيال ، وتساهم بقوة في توجيه تصرفاتهم وسلوكهم، ولها أثر مباشر في الجوانب المعنوية التي يتعامل بها الناس فيما بينهم .

ويدخل في ذلك الجوانب العقدية والعبادية والعقلية والعلمية والفكرية. و في مجال الميادين سنتحدث عن الجوانب الدعوية والاحتسابية والأدبية والفنية .

أي أن هذا الفصل يتحدث عن موضوعين رئيسين هما :

أولاً – البناء التربوي في الميادين الاعتقادية و الروحية والأخلاقية .

ثانياً – البناء التربوي في الميادين الأدبية والفنية .

***

(١٥) التحرير والتنوير، ج٣ص٤٣ .

أولاً - البناء التربوي في الميادين الاعتقادية والأخلاقية

ويتطلب ذلك مراعاة الأمور التالية :

١ – التربية على التضحية لنشر العقيدة وتبليغ الإسلام للبشرية كافة

ينبغي تفعيل العقيدة في نفوس المتربين وتقوية الارتباط بها وذلك لأن العقيدة تعتبر قوة معنوية جبارة تفجر طاقات المتمسكين بها، وتستحوذ على اهتماماتهم، وتشغل قدراتهم فيعملون لأجلها، ويبدعون لأجلها، ويوالون ويعادون من أجلها . وقد ضحى الصحابة رضوان الله عليهم مع نبيهم ﷺ من أجل العقيدة، واستمرت الأجيال المؤمنة من بعدهم على نفس المنهج فحققوا بذلك مجتمعاً إسلامياً زاهراً .

والمتتبع لواقع الحضارات يجد أن العقيدة رغم اختلافها من أمة لأخرى إلا أنه كان لها دور في إشادة المدنيات والحضارات. ففي اليابان يعتقد الشعب هناك عقيدةً أسطوريةً مفادها أن الله خلق تلك الجزيرة في أقصى الشرق لتلمع في العالم إلى أقصى الغرب، وأن ظل الله يرفرف عليها وعنايته

شاملة لها، وأن على أهل هذه الجزيرة رفع مكانتها ومكانة من يعيش فوقها . أما الألمان فيدَّعون أن الله خلقهم خلقاً مميزاً عن بقية العالم ليسودوه ويقودوه ، ومفهوم السيادة عندهم يكون بالتقدم والنهوض، وسبق العالم في الاختراعات والابتكارات. أما حضارة أمريكا فأساسها عقيدة أخرى مفادها بأن رسالتها هي أن تأتي بأفضل نظام عالمي لم تأت بمثله الأديان والأمم السابقة حتى الآن، وترى أن هذا الهدف هو أفضل خدمة تقدمها الأجيال الأمريكية، كما أوصى بذلك الآباء المؤسسون لأمريكا، ويسمونه أحياناً بالنظام العالمي الجديد. وهم يتبجحون اليوم بأن النظام الديمقراطي الذي تطبقه هو الأفضل بين النظم، ولذا سوف تعمل على نشره في جميع الدول والشعوب.

لكن العقيدة الإسلامية أعظم من كل هذه العقائد الباطلة وغيرها، لأنها عقيدة الخير و العدل والمساواة، وهي تسعى لصلاح البشرية في العاجل والآجل، وهي خير للذكر والأنثى، وللصغير والكبير وللسادة والخدم ، والتمسك بهذه العقيدة والموت عليها ينقذ البشر من نار جهنم الأبدية . ثم إن هذه العقيدة تكون جيلاً ينتمي لأمة وصفت بأنها خير أمة أخرجت للناس، لأنها مرتبطة بالله وتأمر بالمعروف وتنشر

الخير والهداية، وتحارب كل صور المنكر والفساد . وهذه العقيدة يجب تكوينها في قلوب الأجيال المسلمة وغرسها بقوة، والاستمرار في عرضها في جميع مراحل التربية النظامية وغير النظامية، وهذا الأمر يقتضي أيضاً تكوين روح التضحية من أجل نشرها وتوصيلها إلى الأمم الأخرى.

وفي هذا الميدان يجب تربية الأجيال على مهارات الدعوة إلى الله وتبليغ رسالة الإسلام، ومن أهداف التربية الإسلامية هو نشر هذه الرسالة الإنسانية لإنقاذ البشرية من النار الأبدية. والدعوة إلى الله من أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى خالقه، حيث فيها الدلالة إلى الخير والتحذير من الشر ، كما أنها حصن حصين ضد هجمات أعداء الإسلام، ووسيلة لانتشال الناس من ظلام الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعات.وهذا الهدف يستلزم وجود من يحققه في أرض الواقع امتثالاً لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}(التوبة:١٢٢). والمتدبر يرى أن "في الآية إشارةً إلى وجوب التفقه في الدين، والاستعداد لتعليمه في مواطن الإقامة، وتفهيم الناس بالمقدار الذي تصلح به حالهم، فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التي

يجب على كل مؤمن أن يعرفها. والناصبون أنفسهم لهذا التفقه على هذا القصد لهم عند الله من سامي المراتب، ما لايقل في الدرجة عن المجاهدة بالمال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، والذود عن الدين والملة، بل هم أفضل منهم في غير الحال التي يكون فيها الدفاع واجباً عينيا على كل شخص"[١٦]. فكل مجتمع بحاجة إلى فئةٍ واعيةٍ بواقع أفراده، ومشكلاتهم، ونقائصهم، وذلك لكي توضع الحلول المناسبة، وتُكمل النقائص المتوقعة. وهذا الهدف النبيل يستحق التضحية، لذا تُربى الأجيال على ممارسته قولاً وعملاً.

والدعوة إلى الله التي ينبغي توجيه الأجيال إليها كلمة شاملة للفطرة السليمة، وللأخلاق الحسنة والنشاطات الدينية التي يقصد بها تقوية الإيمان ونشر الدين. ولا يشترط التفرغ الكامل لنشر الدعوة، بل يستطيع المتربي تبليغ الناس وتذكيرهم ودعوتهم في أي وقت وفي أي مكان من خلال الدراسة أو المهنة أو السمت أوالتعامل والاحتكاك .

ومكانة الداعي إلى الله في الإسلام عظيمة جداً لقوله تعالى : {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (فصلت:٣٣) . ولمكانة الدعوة عند الله يجب أن

---

(١٦) تفسير المراغي، ج٤ص١٨٩ .

يغرس المعلمون في نفوس الأجيال الحرص على البذل والعطاء من أجلها ، وتعليمهم الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يكون الداعي على بصيرة بنفسيات الشعوب ووسائل التأثير، ومعرفة أساليب الدعوة الناجحة ذات المردود الفعال .

٢ - التربية على التمسك بالقيم الخلقية

يقوم المجتمع المتحضر على الأخلاق، وتهتم التربية الإسلامية بالمبادئ والقيم الخلقية، ولذلك كان الدين المعاملة، وكان الشخص الملتزم بالدين هو ذلك الذي يتمثل المبادئ والقيم والأخلاق التي حثت عليها تلك التربية . وقد كان نبينا محمد ﷺ هو النموذج الأعلى في التحلي بهذه الأخلاق، ونال شهادةً رفيعةً من رب العالمين الذي قال في محكم كتابه : {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }القلم٤ .

وفي المجتمع المسلم لم تنفك كليات الحضارة، بل وجزئياتها عن الأخلاق والفضائل والآداب، وصاحبتها في جميع ظواهرها وبواطنها، ولذلك تعتبر رمزاً من رموزها وأساساً من أساسياتها. فالأخلاق هي أس الحضارة وقاعدتها التي تضمن لها البقاء والاستمرار. وإذا فُقدت كان هذا نذير زوالها واضمحلالها. قال تعالى :{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً}

(الاسراء:١٦). فللأفراد حقوق وواجبات يلتزمون بها، والمجتمعات المسلمة كذلك.

وفي المجتمع الحضاري المسلم مؤسسات تحمي هذه الأخلاق، وتؤكد عليها بين الفينة والأخرى .فإمام المسجد من خلال الخطب والمواعظ يذكر المسلمين بالمفاهيم الخلقية ويحث عليها، وتطبيق مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجميع مستوياته الفردية والرسمية يدعم هذا الاتجاه.كما أن السلطة الوالدية بما كلفها الله من رعاية واهتمام بالذرية تقوم بدور كبير في حماية جانب الأخلاق.

وكما أن الإيمان أساس بارز من أسس المجتمع الحضاري المسلم، فإن الأخلاق منطلق رئيس في هذا المجتمع. ولذلك فإن " المنطلق الإيماني الأخلاقي في الحضارة الإسلامية هو مقومها الأول الذي يبرز في سلمها الحضاري مهيمناً على بقية المقومات من فنية جمالية وتقنية صناعية وثقافية عرفانية، فهو الذي يعطيها صبغتها وسموها، ويجعلها حضارة باسقةً من الأرض، موصلةً بالسماء" [١٧].

وبتتبع التاريخ الإسلامي وخاصةً في الصدر الأول نجد أمثلةً وشواهد حية لارتباط الأخلاق بالحضارة. ففي مجتمع

---

(١٧) الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري، ص١٧.

الرسول صلى الله عليه وسلم كانت الأخوة الإيمانية تربط بين أفراده مما لانجده في الحضارات الأخرى قاطبة. وظهرت في ذلك المجتمع صفات الإيثار والتسامح والكرم واحترام الآخرين وبرزت مظاهر التوبة والإنابة والاعتراف بالخطأ والرجوع إلى الحق وكل ذلك من القيم الإسلامية. وأما في الحروب والمعارك فكانت المعاملة الإسلامية الفذة مع أعدائهم كما حدث في فتح مكة حين عفا المصطفى عليه الصلاة والسلام عمن أخرجوه من مكة. وحين فتح المسلمون في عهد الخلافة الراشدة الأمصار لم يقتلوا شيخاً و لا طفلاً ولا امرأةً ولم يخربوا زرعاً ولم يهدموا بناءً أو معبداً.وكان أسرى الحرب يلاقون معاملة لا يجدونها من بني جنسهم وعشيرتهم. ولم يكن في تاريخ الحضارة الإسلامية تفريق بين الشعوب بسبب لون أو جنس أو غنى أو فقر كما يحصل اليوم من تقسيم للدول إلى نامية ومتقدمة، ومما يحصل أيضاً من استخدام الدول القوية للمعايير المزدوجة في تعاملها على الصعيد الدولي[18].ولم يكن هناك طغيان للمصالح الذاتية على إيثار الغير أو تقديم للمعونات لتحقيق مصالح شخصية[19] .وذلك راجع بالطبع إلى القيم الخلقية النبيلة التي التزم بها المسلمون وراقبوا الله فيها .

(١٨) لجنة إدارة شئون المجتمع العالمي، ص٨٧ .
(١٩) المرجع السابق ، ص٢١٤ .

وحين نستعرض أنواع الاختراعات والاكتشافات في تلك الحضارة نلاحظ أنها جميعاً موجهة لمصلحة البشرية ومنفعتها ، فلم تستخدم الكيمياء مثلاً لصنع رؤوس نووية أو غازات سامة، بينما الغرب اليوم يستخدم التقنية لتدمير البشرية حساً ومعنى ويسعى لإشعال الحروب هنا أو هناك لجلب السيولة ورفع مستوى الاقتصاد القومي لبلدانهم.

ولعدم وجود المنطلق الإيماني في المجتمع الغربي، ظهرت أنواع الجريمة والعنف والإيدز والإدمان والانتحار، وقرأنا عناوين في صحفهم عن (أطفال للبيع) و(أطفال مدمنون) و (جرائم المراهقين) و (اغتصاب الصغيرات)، وغير ذلك من المخازي التي يندى لها جبائن الغيورين والأحرار [٢٠]. وهذا كله وأكثر منه ليس بغريب على أمة تفككت أسرها وانعدم الوازع الأخلاقي لديها سواءً كانوا أفراداً أو مجتمعات.بينما نجد في الحضارة الإسلامية أن الأمة تعتبر مسؤولةً عن هذا الالتزام الخلقي لتحقيق مصلحة البشرية وسعادتها. يقول أبو الحسن الندوي رحمه الله :"وقد نيطت بهذه الأمة مسؤولية الوصاية على العالم والحسبة على الأخلاق والاتجاهات وسلوك الأفراد والأمم ومسؤولية القيام بالقسط والشهادة لله والأمر

(٢٠) الجانب الآخر من الحضارة الغربية، ص٣٤ .

بالمعروف والنهي عن المنكر واعتبار نفسها أمة تسأل يوم القيامة عن مدى قيامها بهذا الواجب وتحاسب على تفريطها في ذلك وانشغالها بنفسها " [٢١].

والخلاصة أن هدف الحضارة الإسلامية كان أخلاقياً ولم تكن المصالح الخاصة والمنافع الدنيوية فقط هي المقدمة وإنما كانت القيم والمبادىء الخلقية هي الموجهة لتصرفات أفراد تلك الحضارة. وهذه القيم والأخلاق هي مما ينبغي للأجيال أن تنشره في العالم. يقول نعمان السامرائي :"ولن يستطيع أحد أن يسكتنا بحجة أننا من الدول النامية أو الفقيرة فالفقر والغنى لادخل له بصواب الأفكار وخطئها وصحة المعتقدات وبطلانها وأخيراً فليس كل مالدى المتقدمين صواباً ولاكل مالدى المتخلفين باطلاً" [٢٢].

٣ – التربية على الاحتساب الحضاري

إن التربية في المجتمع الحضاري المسلم لا تقبل أن يكون الفرد منعزلاً عن الآخرين، ولا ترض أن يكتفي بنفسه في تطبيق المبادئ والقيم ، بل ترغب أن يكون متفاعلاً مع مجتمعه،

(٢١) الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية ،ص ١١١ .
(٢٢) في الحضارة وأمراضها والتقدم والتخلف، ص٢٢.

وحريصاً على أن يلتزم الجميع بها. ولذلك كانت النصوص الكثيرة التي تحث الناس على فعل الخير وتنهاهم عن إيذاء الآخرين أو إفساد الممتلكات الخاصة والعامة .

إن وظيفة الاحتساب التي تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر القيم والفضائل الخلقية، ينبغي تعريف الأجيال بأهميتها، ودورها الحيوي في المجتمع، وضرورتها للمحافظة على مكتسبات الحضارة. ومن أهميتها أنها تعتبر من حقوق المسلمين على بعضهم، ومن دلائل مقتضى عقد الأخوة والموالاة بين الأفراد. قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}التوبة٧١ .

والاحتساب الحضاري المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحمي المجتمع، ويحصن الحضارة من أن يتخللها الفساد والإفساد، كما أنه يدفع المتربين إلى بذل الإسهامات والمشاريع التعاونية في مجال الميادين. ومن ثمار التربية على الاحتساب أن يعيش الناس أكرم حياة وأوسعها وآمنها وأشرفها، حيث يحس كل فرد أنه مسؤول عن القذاة والأذى في طريق المسلمين يؤذيهم أو يشق عليهم ، فلا يلقيه و لايدعه، ولكن يميط ويلتقط، ويفرض من نفسه محتسباً، ويعتبر نفسه

مسؤولاً عن مال أخيه وولده وعرضه وشرفه وكرامته فيهب للدفاع عنه، كما يشعره بمسؤوليته الشخصية عن حماية جانب الأخلاق والقيم في الأوساط التي يعيش فيها، ويشعره بأن المحافظة على سلامة المشاريع والمنجزات الحضارية في المجتمع هي جزء من دينه الذي لا ينبغي التفريط فيه. ذكر أحمد عطا أن للأمر والنهي أثراً في بناء حضارة الإسلام وبناء الشخصية الحضارية وذلك من عدة جوانب هي :

١ – ارتباط الأمر والنهي بالإيمان وزيادته وثباته ، والمحافظة على المبادىء والقيم .

٢ – ازدهار الحضارة وتقدمها بإحياء هذه الشعيرة .

٣ – تعتبر هذه الشعيرة مدرسةً تعليميةً دائمةً ومهيأة لأكبر قاعدة من الأمة وتشمل كل الفئات في المجتمع [٢٣].

إن تربية الأجيال على الاحتساب في المجتمع له آثار إيجابية سواءً على مستوى الأفراد ، أو على مستوى المجتمع، ولها دور كبير في استقرار الأمور ، يذكر حكمت فريحات عن دور الحسبة في استقرار المجتمعات في الحضارة الإسلامية: " كان للحسبة أثر في النفوس الكريمة، والتوجيه الحميد لذوي

(٢٣) دراسة وتحقيق كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال، ص١٥- ١٧.

القلوب الطاهرة ، وحتى النفوس الجامحة كثيراً ما يؤثر فيها الوعظ ويلطف من جموحها الإرشاد . فإذا ما اهتم أولوا الأمر بالحسبة وأولوها عنايتهم واختاروا لها الأكفاء حصلوا على نتائج جيدة وثمرات طيبة ، ذلك أن المجتمع فيه تباين في الأخلاق وتنافر في الطباع يحتاج إلى اللين أحياناً والشدة أحياناً أخرى " [٢٤].

ولكي يتحقق وصف الخيرية للأمة ، فإنه ينبغي تحقيق شرطه، ألا وهو إشاعة مفهوم التناصح بفعل المعروف وترك المنكر كما في قوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ }آل عمران١١٠ .

يقول الطاهر ابن عاشور: "(كنتم خير أمة) وجدتم على حالة الأخيرية على جميع الأمم، أي حصلت لكم هذه الأخيرية بحصول أسبابها ووسائلها، لأنهم اتصفوا بالإيمان، والدعوة للإسلام، وإقامته على وجهه، والذب عن النقصان والإضافة، لتحقق أنهم لما جعل ذلك من واجبهم، وقد قام كل بما استطاع فقد تحقق أنهم خير أمة على الإجمال فأخبر عنهم ذلك" [٢٥]. ولذا

---

(٢٤) مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٩٠ .

(٢٥) التحرير والتنوير، ج٣ص١٨٨ .

فإن من واجب ولاة الأمور من الحكام والعلماء والآباء والمعلمين توجيه المتربين إلى نشر هذه الخصلة بين صفوفهم، وتربيتهم على قبول النصح والتوجيه من الآخرين من أجل الوصول للكمال البشري .

***

ثانياً - البناء التربوي في الميادين الأدبية والفنية

لا ينفك المجتمع المسلم عن الارتباط بمنهجه وعقيدته في كل تصرفاته، وفي جميع الأنشطة التي يمارسها الأفراد بين جنباته، وذلك لأن المسلمين مطالبون أن يأخذوا الدين جملةً وليس تفصيلاً. وقد حذر القرآن من المنهج الانتقائي في أخذ الأحكام ،وبناء التصورات والمفاهيم،قال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }البقرة٨٥ ، ولتنمية المجتمع من خلال هذا الميدان، يتطلب ذلك تربية الأجيال على الأمور التالية:

١ – تنمية الشعور بالجمال والإبداع الموجود في الطبيعة

أشارالقرآن إلى المخلوقات العظيمة في هذا الكون، وحث على التفكر فيها،وفي ذلك زيادة للإيمان وتقرب للرحمن ، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن

كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }البقرة١٦٤.

ويشير ابن كثير رحمه الله إلى الجوانب الجمالية والإبداعية في هذه الآيات بقوله: "(خلق السماوات والأرض): أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابت، وبحار وجبال وقفار، وأشجار ونبات، وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان، والروائح والطعوم والخواص. (واختلاف الليل والنهار) أي تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر، فتارةً يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا، فيطول الذي كان قصيراً، ويقصر الذي كان طويلا. وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم، ولهذا قال تعالى: (لآيات لأولي الألباب) أي العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم: (وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون. وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) "[٢٦].

---

(٢٦) المصباح المنير في تفسير ابن كثير، ص٢٦٦.

وتعمل التربية الإسلامية على تبصير الأجيال بالجمال الكوني المشاهد الذي أبدعه الخالق سبحانه وتعالى في أرجاء السماوات والأرض والتي أشار إليها قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الأنعام١٠١ . وهذا ما يسميه بعض المفكرين بالتربية الإبداعية ، ويقصد من هذه التربية تكوين القدرة على الإتقان والابتكار لدى النشء، كما أبدع الله ما خلق وأتقن ما صنع . يقول مقداد يالجن: "إن المتعلم عندما يدرس تلك الحقائق الطبيعية والحيوية والقيم المختلفة من حيث القيم الحقيقة والنفعية فإنه يوسع الوعي الإدراكي والتقدير النفعي، وينمي الإحساس الشعوري بالجمال الطبيعي والإنساني، وهذا بدوره يؤدي إلى تكوين شخصية واعية للإبداع المحيط به في العالم، ويؤدي إلى النمو العقلي والعاطفي والروحي والوجداني والإبداعي ...فيصبح إنساناً مبدعاً خيراً يؤمن بالله، ويشعر بالإنسانية، ويسعى للخير الإنساني" [٢٧].

---

(٢٧) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ص٤٩٥ .

٢ - التربية على إبعاد العمل الفني عن المحظورات الشرعية والسلوكيات السلبية

إن للنواحي الأدبية والفنية تأثيرها القوي على سلوك الإنسان وعاداته ومعتقداته ، وبالتالي نبوغه وإبداعاته. ولذلك ينبغي أن تكون تربية الأجيال في هذا الميدان منضبطة بضوابط الشريعة الإسلامية ولا تجاري أرباب الحضارات الأخرى وانحرافاتهم، والتي ابتليت بالسير خلف أهوائها ورغباتها المنحرفة. كما ينبغي إبراز دور الحضارة الإسلامية في مجال الفن والأدب وأثرهما في تحسين حياة الأفراد والمجتمعات، ويصاحب ذلك إبراز أصولها القرآنية وعلاقاتها بالحضارات الأخرى .

يقول حاجي إبراهيم: "إن إسهام الإسلام في مجال الفنون حافل وخالد فقد ربط الفن الإسلامي النواحي الجمالية بالنواحي العملية، وكذلك النواحي الإنسانية بالنواحي المادية، وهذا الربط جعل له صفة مميزة. ومن أهم منجزات الفن الإسلامي ما كان منها في مجال الهندسة المعمارية حيث جعلت الحياة الشخصية بهيجة وممتعة، وفي مجال الأدب أوضحت اتجاهات الإنسان أمام الحياة والموت...وإذا عرضنا أمثلةً من تغلغل الفن الإسلامي في كل جنبات الحياة، وكيف

أصبح البيت عند المسلمين أكثر جمالاً، والجسم مغطى بملابس أخاذة، والطعام والشراب معدان بطريقة أفضل، فسيكون لذلك أثره خارج نطاق الأشكال المرئية والبيئة المحيطة، وربما انتقل التأثير إلى تغيير العادات السائدة في الديانات الأخرى" [٢٨].

وإلى جانب آخر من الجوانب الفنية يقول سيد منظور: " ومن كل العناصر الفريدة للفن الإسلامي ربما لا يوجد فن آخر يؤكد شخصيته بقوة كبيرة أكثر من فن الكتابة الإسلامية، فالكتابة الإسلامية أولاً وقبل كل شيء هي منهج جمالي للتعبير، عن طريقها وصلت العبقرية الفتية للشعوب الإسلامية أقصى درجاتها في مجال الإبداع الفني، والكتابة في حد ذاتها فن إسلامي، حيث تتقابل الروحانية الأصلية والإبداع الجمالي للمسلمين في اتجاه مثمر...وعن طريق فن الكتابة العربي حاول العقل المسلم أن ينفذ التعبير الجمالي لكلمة الله " [٢٩].

وللفن في هذه الأيام صور متعددة منها الرسم والتصوير والنحت ، ومنها التمثيل والغناء ولكل منها مردود اقتصادي كبير، وقد فُرِّغ للاهتمام بشؤونه موظفون ومسؤولون، ومع

---

(٢٨) منجزات الحضارة الإسلامية في ميادين العلوم والفنون، ج٢ص٦٦٧ .
(٢٩) تفوق الإسلام في مجال الفنون المرئية ودور الشباب المسلم في حفظ وتنشيط هذا التراث، ج٢ ص٦٩٤ .

ذلك ينبغي تنبيه المتربين إلى بعض المحظورات التي تنافي العقيدة الإسلامية .

فأما النحت فقد أنكر القرآن على من اتخذ النحت فناً لصنع الأصنام المعبودة، وبين أنه مخالف للشرع والعقل، قال تعالى: {فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ.مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ.فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ.فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ.قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ} (الصافات:٩١-٩٥). يقول نذير حمدان: "إنه ينكر عليهم عبادة التماثيل التي صنعوها بأيديهم ونحتوها من الحجارة التي كانت حولهم ، فكيف تستقيم مثل هذه العبادة ؟ وإن العمل الفني يبقى في حدوده الجمالية ، أما أن يقدس أو توضع حوله هالة دينية مفتعلة فهذا خروج عن الفنية مهما بلغ في حسنه وبهائه ...ومن هنا فإن العمل الفني الإسلامي يمنع مثل هذه الصناعة الوثنية وإن خلت من محتواها المقدس على طول الأيام "[٣٠].

و أما الرسم والتصوير فينبغي تجنب ذوات الأرواح لما ورد من تحريمه ، واستثنى العلماء جواز التصوير للضرورة وفي حالات معينة. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أتاه رجل

---

(٣٠) العمل وتطبيقاته .. ركن القيم الكبرى- غاية الغايات – قوام الحضارة الخالدة ،ص٦١ .

فقال يا ابن عباس إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي وإني أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: (من صور صوراً فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ أبداً). فربا الرجل ربوةً شديدةً واصفر وجهه، فقال : "ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر ، كل شيء ليس فيه روح" [٣١].

وأما الغناء المصحوب بالمعازف فقد حرمه الله في كتابه الكريم بقوله :{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (لقمان:٦) . ولهو الحديث هو الغناء، وهو ما كان مصحوباً بالآلات الموسيقية، وحذرمنه ﷺ بقوله (في هذه الأمة خسف ومسخ وخذف)فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك ؟ قال (إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور)[٣٢]. وأما التمثيل فقد نَهي عنه بعض العلماء لمشابهته بالكذب المحرم.

ورغم هذه المحظورات التي تلتبس بالفن فإنه يمكن إبراز تميز الشخصية المسلمة بتطويع الفن نحو الأمور الخيرة وإبعاده

(٣١) رواه البخاري في كتاب البيوع ، ج١ص٢٢٥ .

(٣٢) رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، رقم ٢٢١٢ وقال الترمذي حديث غريب .

عن المحظورات ، فلا يستخدم الرسم والتصوير والنحت في ذوات الأرواح، وإنما يُستخدم لإبراز أشكال جمالية من الطبيعة الغناء الثرية بالمشاهد الحية التي تبعث السرور والانشراح في الصدور. وحين يكون لابد من التمثيل فينبغي تجنب الموسيقى المحرمة، واختلاط الرجال بالنساء، أو إشاعة الفاحشة وإثارة الغرائز، ويراعى ألا يكون المضمون مما ينشر الأفكار الهابطة والكلمات المرذولة .

وحين تتربى الأجيال على التعامل الصحيح مع الفنون بأنواعها المختلفة ، يُحمى المجتمع من التخبط العقدي والضياع الفكري والتشويه الذوقي . كما أن الفن المباح يسمو بعقل الإنسان وتفكيره، ويدفعه إلى بناء الحضارة النظيفة مادياً ومعنوياً، ويشيع المعاني الراقية والأفكار البناءة .

٤- بيان أهمية الفن الإبداعي في الصناعات المختلفة

تتطلب التربية الجمالية الإبداعية تحسين وتجميل ما يصنع الإنسان من اختراعات وابتكارات، لأن الجمال وتحسين السلوكيات والأعمال من حاجات الإنسان الطبيعية، وهي من زينة الحياة الدنيا التي أباحها الله للعباد ودلهم عليها، قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }الأعراف٣٢.

إن انتشار المظاهر الجمالية في المجتمع يزيد الحياة رونقاً وبهاءً، ولهذا جعلت الشريعة ذلك من المقاصد التحسينية، وفي ذلك توافق مع الحضارة الإسلامية التي من أهدافها تحقيق الحاجات الفطرية. وتميل النفوس عادةً للإقبال على الجديد والجميل، والتحديث في الصناعات، والتفنن في إنتاج الإصدارات المتنوعة والأشكال المتعددة يلبي هذه الحاجة النفسية، إضافةً إلى أنه يساهم في دعم المردود الاقتصادي للمجتمع. ومن هذا الباب تلجأ شركات السيارات مثلاً لإنتاج نماذج جديدة في كل عام تختلف عن العام السابق ، وقد يكون التغيير طفيفا ولا يكاد يُذكر، ولكنه يساهم في ترويج المنتجات والصناعات. كما أن هناك صناعات إبداعية مقتبسة ومطورة من الطبيعة، ومن الأمثلة صنع الطائرات على هيئة الطيور ذات الرأس والذيل والجناحين، وصنع السفن والقوارب على أشكال الأسماك .

ومما يساعد في رواج الصناعات وعدم كسادها اهتمام صناعها بالجانب الجمالي في إعدادها وعرضها ، كما يحدث في اللوحات الفنية والأشكال الجمالية التي تُزين بها المنازل

والمكاتـب. وهـذا الميـدان مجـال خصـب لابتكـار التصـاميم الإبداعية التـي تسـتخدم مـواد الطبيعـة الخشـبية والزجاجيـة والحديدية وغيرها، وهـي مـن المـوارد الماديـة الضـخمة التـي يمكـن توفيرهـا عـن طريـق الصـناعة والتجـارة. والتربيـة الإسلامية عموماً لا تعارض هذا الاهتمام ، بشرط ألا يصل إلى حـد الإسراف والتبـذير، قـال تعـالى: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَـى حَقَّـهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّـبِيلِ وَلاَ تُبَـذِّرْ تَبْـذِيراً *إِنَّ الْمُبَـذِّرِينَ كَـانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً }الإسراء٢٧.

***

الفصل الثالث
الميادين المادية في المجتمع المسلم

تمهيد

أولاً – البناء التربوي في الميادين الغذائية

ثانيـاً - البناء التربوي في الميادين الصناعية

ثالثـاً - البناء التربوي في الميادين التجارية

رابعاً - البناء التربوي في الميادين العسكرية

خامساً - البناء التربوي في الميادين التقنية

سادساً - البناء التربوي في الميادين الصحية والطبية

سابعاً – البناء التربوي في الميادين العمرانية

تمهيد :

الميادين المادية هي التي تحقق الحاجات الأساسية للأمة والمجتمع، وبها يقوم أودها وتصلح معيشتها، وبها يستعين المجتمع المسلم على طاعة الله ، وتثبيت أركان الدين ، قال تعالى: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلله عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} الحج٤١ . والواجبات اللازمة بعد التمكين ثلاثة هي : إقامة الصلاة بشروطها وأركانها وواجباتها، وإعطاء الزكاة لمستحقيها في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، والسعي لنشر الخيرات وإزالة المنكرات. يشرح الطاهر ابن عاشور الآية بقوله: " المراد: كل من نصر الدين من أجيال المسلمين، أي مكناهم بالنصر الموعود إن نصروا دين الله...، فإن يأتوا بها أمر الله به من أصول الإسلام فإن ذلك دوام نصرهم، وانتظام عقد جماعتهم، والسلامة من اختلال أمرهم، فإن حادوا عن ذلك فقد فرطوا في ضمان نصرهم، وأمرهم إلى الله. فأما إقامة الصلاة فلدلالتها على القيام بالدين، وتجديد لمفعوله في النفوس، وأما إيتاء الزكاة فهو ليكون أفراد الأمة متقاربين في

نظام معاشهم، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلتنفيذ قوانين الإسلام بين سائر الأمة من تلقاء نفسها" [٣٣].

وحين يتفوق المجتمع في الأمور المادية يعطي كل فرد حاجاته، ويكفل لضعفائه وفقرائه ما يقيم أودهم، ويحفظ كرامتهم في مختلف الميادين، وعلى الرغم من أن هذه الميادين توفر للمجتمع أسباب الرفاهية ، والتمتع بالحياة، والتفنن في ملذاتها، إلا أنها من ناحية أخرى ينبغي ألا تتجاوز قدرها في حس المسلم، وهي أنها معبر للدار الآخرة، وزاد مؤقت لحياة الجسد، ولما اعترف القرآن بهذه الميزة، واعتبرها من الشهوات الطبيعية للنفوس البشرية، بين حجمها الحقيقي في ميزان الله، وذلك لكي يتحقق التعامل الأمثل معها، قال تعالى : {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الله عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ }آل عمران١٤ .

يقول القرطبي: "اختلف الناس من المزين، فقالت فرقة الله زين ذلك، وقال فرقة المزين هو الشيطان...، فتزيين الله تعالى إنما هو بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، وإنشاء الجبلة على الميل

(٣٣) التحرير والتنوير،ج١٧ص٢٠٣ .

إلى هذه الأشياء، وتزيين الشيطان إنما هو بالوسوسة والخديعة، وتحسين أخذها من غير وجوهها، والآية على كلا الوجهين وعظ لجميع الناس" [٣٤].

وفي الآية أيضاً توضيح لبعض الأمور المادية التي يحرص عليها الأفراد وتنتشر في المجتمعات، وهي من ضمن الأمور التي هيأها الخالق للبشرية جمعاء لينتفعوا بها، ولتتيسر معيشتهم كما قال تعالى : {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} البقرة٢٩ .

والميادين المادية هي من الأمور التي هيئت في هذه الأرض بتقدير من المولى سبحانه وتعالى، وهذا الفصل يشمل مايلي :

أولاً – البناء التربوي في الميادين الغذائية

ثانياً – البناء التربوي في الميادين الصناعية

ثالثاً – البناء التربوي في الميادين التجارية

رابعاً – البناء التربوي في الميادين العسكرية

خامساً – البناء التربوي في الميادين التقنية

(٣٤) الجامع لأحكام القرآن ، ج٢ص٢٨.

سادساً – البناء التربوي في الميادين الصحية و الطبية
سابعاً – البناء التربوي في الميادين العمرانية

***

أولاً – البناء التربوي في الميادين الغذائية

تشمل الميادين الغذائية كلاً من الثروة الزراعية والثروة المائية والثروة الحيوانية ، ومن حيث أهميتها فإن المجتمع لايقوم بدون تحقيق الأمن الغذائي .وفي الغالب أن الحضارات تقوم في المناطق التي يتوفر فيها المياه والمناطق الزراعية وقد أدرك الخلفاء السابقون ذلك ، ولهذا نقل الأمويون العاصمة إلى الشام ونقلها العباسيون إلى العراق .

وتحقق هذه الثروات حاجة فطرية من الحاجات الأساسية التي يحتاجها الإنسان بوها قوام نفسه، ولا يستغني عنها لكي يعيش في هذه الحياة الدنيا، وإذا توفرت هذه الحاجات تفرغ أفراد المجتمع ليحقق الحاجات الأخرى كالتحسينية والكمالية.

ولهذا الميدان ميادين فرعية هي الآتية :

أ – الثمار والمحاصيل الزراعية

ب – الثروة المائية

ج – الثروة الحيوانية .

وعندما يسعى المجتمع لتوفير هذه الثروات، يهيئ الوسائل المختلفة لتنميتها وزيادتها، وتذليل العقبات التي

تحـول دون ذلـك. أمـا حـين يكثـر العـرض، ويجـد الجميـع الحاجات الغذائية في كل مكـان، فـإن هـذا سيسـاعد عـلى أن ترخص أسعارها ، وتصبح متاحةً لمن يطلبها .

أ - الثمار والمحاصيل الزراعية :

لقد امتن الله على عباده بهذه النعم لأهميتها في حياة البشر، وذكر القرآن الكريم آيات كثيرة تبين أنواع المحصولات الزراعية، فقال تعالى: {يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} النحل١١ .

ويقول تعالى: {أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ. أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} (الواقعة: ٦٣-٦٥) .

يقول الإمام الماوردي : "(أفـرأيتم مـا تحرثـون) أضـاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى، لأن الحرث فعلهم ويجري على اختيـارهم، والـزرع مـن فعـل الله وينبـت عـلى اختيـاره لا اختيارهم ...، وتتضمن هذه الآيـة أمـرين: أحـدهما الامتنـان عليهم بأن أنبت زرعهم حتى عاشوا به ليشـكروه عـلى نعمتـه عليهم.

الثاني: البرهان الموجب للاعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذوره، وانتقاله إلى استواء حاله، حتى صار زرعاً أخضر، ثم جعله قوياً شديداً أضعاف ما كان عليه، فهو أحق وعليه أقدر، وفي هذا البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة.

(لو نشاء لجعلناه حطاماً) : يعني الزرع، والحطام: الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به، فنبه ذلك على أمرين:

أحدهما : ما أولاهم من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاما فيشكروه.

التالي: ليعتبروا بذلك في أنفسهم، كما أنه يجعل الزرع حطاماً إذا شاء كذلك يهلكهم إذا شاء، ليتعظوا فينزجروا" [٣٥].

ودور التربية الإسلامية في هذه المجالات يكون بما يلي :

١ - توجيه المتربين لمجالات التنمية الزراعية

يتكون المجتمع من فئات مختلفة من الناس، ومن أجزاء متعددة من التقسيمات، وكل منها يكمل الآخر ، والعمل الزراعي يلائم رغبات بعض الأفراد، وهو ضروري لكل مجتمع حضاري، ويحقق جانباً مهماً من جوانب بقاء العنصر البشري، ولذلك لا بد من توجيه الأفراد للمشاركة في هذا

---

(٢٥) تفسير الماوردي ، ج٥ص٤٦٠.

المجال الحيوي. وفوق ذلك فإن من صفات المؤمنين الحـرص على الأجر والثواب وتجميع الحسنات، والعمل الزراعي سبيل لتحصيل ذلك، ودور التربية الإسلامية حث المتربين على هـذا الباب من أبواب الأجـر. كـما أن مـن فوائـد العمـل الزراعـي شعور المزارع بالفرح والرضى النفسي- حـين يـرى المحاصـيل الزراعية وقد أينعت وأثمرت، وذلك بعد أن اجتهـد وتعـب، وبذل قصارى جهده في رعايتها .

وقد وجه النبي ﷺ إلى ذلك في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ : (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منـه طـير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صـدقة) [٣٦]. وقـال عليـه أفضـل الصلاة وأزكى السلام ﷺ : (ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه صدقة، وما سُرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهوله صدقة، ولا يرزؤه أحـد إلا كان له صدقة) [٣٧]. ففي الحـديثين السـابقين توجيـه مبـاشر للزراعة والغرس، وفيهما بيان لبعض صور التكافل الاجتماعي من خلال الصدقة والإحسان، وبذل المعروف.

---

(٢٦) رواه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة، ج١، ص٢٣٥ .

(٢٧) رواه مسلم في كتاب المساقاة .

وإحساس المتربين بهذه المعاني يجعلهم يُقْـدِمون عـلى هـذا الميدان المهم لفائدة أنفسهم وفائدة مجتمعات المسـلمين .كـما أن فيها فائدة للمخلوقات الأخرى مـن الكائنـات الحيـة، لأن في تغذيتهم وإطعامهم صدقة يؤجر الإنسان عليهـا .وعـلى ذلـك يجب تكوين حب المهنة الزراعية والحرص عـلى تنميـة الثـروة الزراعيــة والاســتقلال عــن الآخــرين ، ومعرفــة أن التقــدم الحضاري المتكامل متوقف على تأمين سـبل المعيشـة والغـذاء، والذي يتم بعد تفعيل الثروة الزراعية.

٢ - بيان كثرة إنعام الرازق وقدرته وعظمته

فمن خلال التفكر في تعدد المزروعات، واختلاف الأراضي المزروعة، وتنوع أماكن زراعتها، يرى المتأمل مئات بل آلاف الأنواع والأحجام من الثمار والمزروعات. ولا شك أن لفت أنظار المتربين إلى هذه الحقائق يبين لهم قدرة الله وعظمته، مما يعزز التربية الإيمانية في نفوسهم.

يقــول تعــالى في كتابــه الكــريم: {وَفِي الأَرْضِ قِطَـعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَـابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيـلٌ صِـنْوَانٌ وَغَـيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْـضٍ فِي الأُكُـلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }الرعد٤ .

فبقدر ما يرى الإنسان من عظيم إنعام المنعم وتفضله على الخلق ، بقدر ما يرتبط به أكثر وينقاد .

فتربية الأجيال على معرفة الله وتقديره حق قدره، وأنه سبحانه بيده إنبات الثمار وتنويعها، يزيد من ارتباطهم بخالقهم والتجائهم إليه، وإزالة مظاهر الغرور والتكبر التي ابتلي بها أهل المجتمعات المنحرفة، فكان في ذلك هلاكهم واضمحلال أمرهم .

والزروع والثمار على اختلافها وتنوعها وكثرتها تشير إلى عظمة الخالق سبحانه، يقول ابن كثير : "أي هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزروع في أشكالها وألوانها، وطعومها وروائحها، وأوراقها وأزهارها، فهذا في غاية الحلاوة، وهذا في غاية الحموضة، وذا في غاية المرارة، وذا عفص، وهذا عذب، وهذا جمع هذا وهذا، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى، وهذا أصفر، وهذا أحمر، وهذا أبيض، وهذا أسود، وهذا أزرق، وكذلك الزهورات مع أنها كلها تستمد من طبيعة واحدة، وهو الماء، مع الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضبط، ففي ذلك آيات لمن كان واعياً ، وهذا من أعظم

الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فاوت بين الأشياء، وخلقها على ما يريد"[٣٨].

كما أن هذا التنوع يتواءم مع اختلاف البيئات المناخية التي يعيش فيها المتربون في أرجاء بلدان العالم الإسلامي، وتختلف لذلك أنواع الأراضي وقابلية تربتها لأنواع من المزروعات دون بعض ، وفي هذا إشارة ضمنية إلى مراعاة اختلاف البيئات عند وضع المناهج المتعلقة بالجانب الزراعي سواءً في المراحل الدراسية الدنيا، أو في المعاهد والكليات المتخصصة.

٣ - تحقيق التكافل الزراعي بين مجتمعات المسلمين وشعوبهم

فالتعاون سمة المجتمعات الحضارية الناجحة، وتعاون المسلمين دولاً وشعوباً وجماعات يعزز قوتهم، و يزيد من تماسكهم، لكي يقفوا سداً منيعاً أمام أعداء الإسلام، فلا يحتاجون إليهم ولا يعتمدون عليهم، ويحققون الاكتفاء الذاتي في أمور معاشهم فيما بينهم، يقول تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى * وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} المائدة٢. يقول المراغي: "الأمر بالتعاون على البر

(٣٨) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص٦٧٩.

والتقوى من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، إذ يوجب على الناس أن يعين بعضهم بعضاً على كل ما ينفع الناس أفراداً وجماعات في دينهم ودنياهم، وعلى كل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم، وقد كان المسلمون في الصدر الأول يتعاونون على البر والتقوى، بدون حاجة إلى ارتباط بعهد كما تفعله الجماعات اليوم، فإن عهد الله وميثاقه كان معيناً لهم عن غيره، ولكن لما نكثوا ذلك العهد صاروا في حاجة إلى تأليف هذه الجماعات لجميع طوائف المسلمين، وحملهم على إقامة هذا الواجب (التعاون على البر والتقوى)" [٣٩].

والميدان الزراعي يحقق هذا الهدف النبيل، فيمكن من خلال المؤسسات المتخصصة تبادل المنافع الزراعية، وتوفير الأيدي العاملة، والتعاون في استزراع الأراضي، وبذلك تستفيد أطراف متعددة، يقول ﷺ: (من كانت له أرض فليزرعها أوليمنحها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه) [٤٠]. ويقول ﷺ: (من كانت له أرض فليُزْرِعها فإن عجز عنها فليزرعها أخاه) [٤١].

---

(٣٩) تفسير المراغي، ج٢ص٣٧٧.

(٤٠) رواه البخاري في كتاب المزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمر، رقم ٢٣٤١.

(٤١) رواه النسائي في كتاب المزارعة برقم ٣٨٩٧ (موسوعة، ص٢٣٤١).

ويبين المسح الزراعي للدول الإسلامية أن بعضها تملك خصوبة مدهشة في أراضيها، وتعد من أفضل البيئات الزراعية، ولكن لعدم وجود الإمكانيات المادية والآلات الحديثة والخبرات المدربة فقد لا تستطيع استثمارها كما ينبغي، ولو أمكن إقامة مشاريع اقتصادية مشتركة بين الدول الإسلامية لكان في ذلك خير للأمة جمعاء. وكمثال على ذلك يقول عبدالغني غالب: "لا تتمتع بنجلاديش بمناخ استوائي سخي فقط، بل كذلك بتربة غنية وعميقة، يرسبها سنوياً ثلاثة أنهار ضخمة بفروعها التي لا تحصى، والبلاد غنية بما يكفي من الأراضي الخصبة والماء، والقوة العاملة، والغاز الطبيعي، والأسمدة، لا لتصبح مكتفية بذاتها غذائياً فقط، بل لتصبح كذلك مصدراً للغذاء حتى مع حجم سكانها السريع المتزايد"[٤٢]. وهناك دراسات عن إفريقيا وبعض دولها الإسلامية المشهورة بالفقر والعوز ، فإنه لا يُزرع منها إلا القليل من الأراضي، وفي هذا خسارة كبيرة لأبنائها ، رغم أن أراضيها من أخصب الأراضي الصالحة للزراعة . كما أن

(٤٢) تحديد منابع المشكلات الاقتصادية للمجتمع المسلم وحلها من خلال التعليم ، ص١٦.

أراضي الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن روسيا كافية لإعاشة العالم الإسلامي، لو أُحسن استثمارها .

فإذا تربت الأجيال على أن يخدموا في بلدان المسلمين، ويساهموا في تنمية مجتمعاتهم، ويستقبلوا إخوانهم من البلاد الأخرى، بصدور رحبة ونفوس منشرحة، عمل الجميع بجد وإخلاص وتفان ، وساهم ذلك في بناء حضارة قوية متفوقة على غيرها من الأمم والحضارات .وإذا حققت الأمة حاجاتها في الميدان الزراعي أمكنها إيقاف الواردات التي تأخذها من دول وثنية أو كافرة ، وأصبحت دعامةً أساسيةً من دعامات التنمية الاقتصادية للأمة الإسلامية .

وبعد أن تُغطى حاجات الأمة، تُراعى الحاجات الإنسانية للعالم أجمع، وذلك لأن رسالة الحضارة الإسلامية رسالة إنسانية كونية ، وزراعة ما تحتاج إليه البشرية والمتاجرة فيها والصدقة منها فيه دعم لاقتصاد الأمة المسلمة، وتنشيط للتجارة الدولية، والتغلغل في الأسواق العالمية لفرض مبادئها ونشر فكرها .

٤ - الربط بين طريقي الدنيا والآخرة من خلال الزرع والنبات

إن مما ابتليت به بعض الحضارات الغابرة والمعاصرة أنها سعت لفصل الدين عن مناشط الحضارة في المجتمع، فانتشرت لديهم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية،وتفشت الأمراض النفسية والعصبية، وساد الفساد في المؤسسات والإدارات لبعدها عن الدين وضعف يقينها، وتزعزع إيمانها بالله واليوم الآخر. أما في الإسلام فالأمر ليس كذلك، والتربية الإسلامية تقرن بين الأمرين من خلال ميادين كثيرة، ومنها الميدان الزراعي . وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، ففي نص حواري قرآني يُذَكِّر أحد المتحاورين صاحبه بنعمة الله عليه بأن رزقه الثمار والزروع، ويربط ذلك بمشيئة الله وقدرته ، قال تعالى حاكياً عنهما: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً }الكهف٣٩ ، يقول الألوسي: "فالمراد تحضيضه على الاعتراف بأن جنته وما فيها بمشيئة الله تعالى، إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها" [٤٣].

بل ويزداد الأمر ترابطاً في أحرج اللحظات، حين قيام الساعة، ويجيء الأمر النبوي بالاستمرار في بناء المجتمع

---

(٤٣) روح المعاني،ج١٦ص٢٧٩.

ومواصلة تثبيت المشاريع الزراعية بعيدة المدى، يقول ﷺ : (إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر) [٤٤].

إن وجود الحس الإيماني لدى المتربين يفيد الأمة كثيراً في دينها ودنياها. فعندما يغيب هذا الحس في الميدان الزراعي، تكون الزراعة سبباً لانتشار المحاصيل الزراعية المحرمة من مطعومات ومشروبات ومشمومات. وعندما يغيب الحس الإيماني قد يلجأ البعض إلى تصرفات منافية للأخلاق والقيم، وبدون أي اعتبارات إنسانية كما تفعل بعض الدول الكافرة. يقول يوسف القرضاوي: "تجبر الولايات المتحدة أوربا على تبوير ١٥٪ من أراضيها الصالحة لزراعة القمح من أجل أنها تريد الإبقاء على صادرات وأسعار القمح الأمريكي على مستواها وذلك على حساب الجياع من الناس " [٤٥]. لذلك ينبغي تربية الأجيال على مراعاة القيم و المبادىء والمعتقدات، وإزالة كل ما يتصادم معها من أنشطة غير شرعية حتى ولو أدى ذلك إلى التأثير على الناتج المحلي الإجمالي من مساهمات القطاع الزراعي .

---

(٤٤) رواه أحمد (ج٣ص١٨٣) وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٩٠٧ .

(٤٥) الإسلام وحضارة الغد ،ص٣٨.

وقد جاءت الشريعة بتنويع طرق الاستثمار الزراعي المشروعة، وفصلت كثيراً من أحكامها،وبين العلماء ما خفي منها. وحين تتربى الأجيال على مراعاة المبادئ والقيم، فإنها ستتبنى المشاريع والأنشطة المباحة، ولن تلجأ إلى ما ينافيها، وسوف تستخدام الأساليب الشرعية التي تنشط الحركة الزراعية ، وبها يعم النفع ويكثر الخير في المجتمع.

ومن هذه الأساليب: أسلوب المزارعة، وممارسته تؤدي إلى تعميم النفع بين أكثر من طرف بطريقة تسلم من الوقوع في الإثم وتنشط الحركة الزراعية في الأمة . وأسلوب المزارعة عرفه صبحي الصالح بأنه " نوع من المشاركة في إنتاج الزرع والانتفاع بمحصوله تبعاً للاتفاق بين الشريكين أو الشركاء"[٤٦]. والدليل على مشروعيته ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أعطى خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها ، رواه البخاري في كتاب المزارعة موسوعة، ص١٨٢) . وفي هذا تفتيق لميادين التربية الإسلامية، بالإضافة إلى مرونة الأسس التشريعية التي تتيح استخدام ما يمكن من الوسائل المشروعة لمصلحة المجتمع، والتي يجب تدريسها للمتربين في المراحل المناسبة والتخصصات الملائمة .

---

(٤٦) الإسلام ومستقبل الحضارة، ص١٠١.

كما ينبغي توجيه الأجيال لتنويع طرق استثمار الأراضي واستغلالها ، فمن ملك أرضاً بالوراثة، أو جاءته منحةً عن طريق الدولة، أو استطاع أن يستأجرها أو يمتلكها بحر ماله، فإن عليه أن يقوم بزراعتها، وذلك لما في الزراعة من فوائد عظيمة يستفيد منها الملاك والمستأجرون وتزيد من القوة الاقتصادية للمجتمع ، قال ﷺ : (إنما يزرع ثلاثة : رجل له أرض فهو يزرعها ، ورجل مُنح أرضاً فهو يزرع ما مُنح، ورجل استكرى أرضاً بذهب وفضة)[٤٧].

ولذلك فلا بد من تعريف المتربين بهذه الأحكام التي تسهم في تنويع طرق الاستثمار الزراعي في المجتمع، وهذا الأمر يخالف النظرة العلمانية التي تفصل الدين عن الحياة،و يؤكد ارتباط حياة الأفراد بالدين في جميع جزئياته وتفصيلاته.

٥ - تحقيق الأمن الغذائي بتنويع المطعومات والمشروبات

فالمجتمع المسلم يحتاج إلى زراعة الأراضي، وتنويع طرق استثمارها لإنتاج المحاصيل الزراعية، وتوفير أنواع المأكولات والمشروبات التي تحتاجها أجسام الكائنات الحية، والتي بتوفيرها يتحقق الأمن الغذائي الذي يساعد في ثبات أمور

---

(٤٧) رواه النسائي في كتاب المزارعة وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٧١٥.

المجتمع، وتيسير معيشتهم، وتفرغ أبنائه للتعمير والبناء، وقد لفت القرآن الكريم أنظار المؤمنين إلى مراحل إيجاد الطعام الذي يتحقق به جانب من الأمن الغذائي، فقال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ. أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً.وَعِنَباً وَقَضْباً. وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً. وَحَدَائِقَ غُلْباً. وَفَاكِهَةً وَأَبّاً. مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ } (عبس: ٢٤-٣٢) .

ومن الزراعة أيضاً تستفيد الدواب والأنعام، قال تعالى : {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل١٠-١١) .

ولكل من هذه الزروع والثمار استخدامات متنوعة تتلاءم مع هذا الاختلاف . كما أن هذا التنويع يراعي الميول والاهتمامات الفردية للمتربين فيتوجه كل منهم للميدان الذي تميل إليه نفسه.

وهناك فوائد أخرى مستفادة من تنوع الثمار غير الأكل والشرب ، وتفيد في جوانب كثيرة من حاجات المجتمع، يقول ابن القيم رحمه الله: " ثم إنه سبحانه خلق تلك الأقوات والثمار

والحبوب والفواكه مقارنة لمنافع أخرى من العصف والخشب والورق والنور(أي الزهر) والسعف والكرب (أي إثارة الأرض) وغيرها من منافع النبات والشجر غير الأقوات كعلف البهائم وآلات الأبنية والسفن والرحال والأواني وغيرها ، ومنافع النور من الأدوية والمنظر البهيج الذي يسر الناظرين وحسن مرائي الشجر وخلقتها البهيجة الشاهدة لفاطرها ومبدعها بغاية الحكمة واللطف "[48].

٦ - توعية الأجيال وتعريفهم بأحكام الزراعة وآدابها وما يتعلق بها من أمور شرعية

فالزراعة سبيل من سبل التكافل الاجتماعي بين المسلمين، من حيث وجوب الزكاة في بعض الثمار . والمزارع المسلم عضو فعال في تدعيم هذا الجانب، فيتربى على شكر الخالق الذي رزقه هذه الثمار، ويعمد بعد الحصاد إلى إخراج زكاتها لمستحقيها، وبمقدارها المحدد أو يزيد، كما أمره الخالق بذلك فقال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }الأنعام١٤١.

---

(٤٨) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ج٢ص١٠٠ .

فمن الأمور المهمة أن يتعلم المتربون نظرياً وعملياً كيف يتم البذر والزرع والسقي والحصاد الزراعي، ومواسمه، وطرقه، والأهم من ذلك تعلم الأحكام الشرعية المتعلقة بمقدار الزكاة الواجبة فيما يُحصد، وحينها ينبغي أن يتعرفوا على الفرق بين ما يُسقى من ماء الأمطار، وبين ما يُسقى بواسطة الآلات والأجهزة. يقول ﷺ: (فيما سقت السماء والعيون العشر، وما سُقي بالنضح نصف العشر) [٤٩]. يقول الألباني رحمه الله : " في هذا الحديث فائدة فقهية معروفة وهي أن زكاة الزروع تختلف باختلاف المؤنة أو الكلفة عليه، فإن كان يُسقى بماء السماء والعيون والأنهار فزكاته العشر وإن كان يسقى بالدلاء والنواضح الارتوازية ونحوها فزكاته نصف العشر ولا تجب الزكاة في كل ما تنتجه الأرض ولو كان قليلاً بل ذلك مقيد بنصاب معروف في السنة، وفي ذلك أحاديث صحيحة " [٥٠]. وقد بين الفقهاء الأقدمون والمعاصرون فروض الزكاة وأنصبتها ومقاديرها ، ومن المعاصرين السيد سابق في كتابه فقه السنة [٥١]. وينبغي أن تُضمن هذه الحقائق في مفردات المقررات الدراسية المختلفة .

---

(٤٩) رواه البخاري في كتاب الزكاة ج١، ص١٧٤ .
(٥٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيئ من فقهها ، ج١ص٢١٧ .
(٥١) فقه السنة ، ج١ ،ص٢٨٧- ٣٧٩ .

٧ - الحث على استثمار الأراضي المتروكة أو المهجورة لتكثير المساحة الزراعية

تنتشر في بلاد المسلمين الأراضي الصحراوية وغير المزروعة، وليس ذلك لأنها ليست صالحةً للزراعة، بل لأسباب أخرى، كأن تكون بعيدةً عن العمران، أو تكون غائبةً عن الأذهان. ولذلك ينبغي التوجه نحو استثمار مثل هذه الأراضي المتروكة، لأن في تكثير مساحة الرقعة المزروعة تجميل للأرض، وتقليل للمساحات القاحلة، وإحياء للأراضي الميتة أو المهملة . يقول الرسول ﷺ : (من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق)[٥٢]. ويعلق ابن حجر رحمه الله على الحديث بقوله : " إحياء الموات أن يعمد شخص لأرض لا يعلم ملكاً عليها لأحد، فيحييها بالسقي، أو الزرع، أو الغرس، أو البناء فتصير بذلك ملكه، سواء كانت فيما قرب من العمران أم بعد " [٥٣].

وهذا التوجيه الإسلامي يدفع المتربين إلى شحذ أذهانهم، والتفكير في استغلال البوادي والضواحي البعيدة عن المدن والتي لم يسكنها أحد، فتُعمر وتُستغل زراعياً واقتصادياً

(٥٢) رواه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة، (ج١ ص٢٣٦) .
(٥٣) فتح الباري، ج٥ص١٨ .

وعمرانياً، وهذا مما يشغل الأيدي العاطلة فلا يبقى أحد بدون عمل أو مهنة .

ولذلك فإن "تحريك الحوافز النفسية لمواصلة الإنتاج والعطاء عن طريق إحياء الموات والاستزادة من مصادر المياه، تزداد أهميةً وترتفع قيمته إذا ألقينا نظرة على ما ابتدعه إنسان القرن العشرين من الأنماط والوسائل التقنية الحديثة في الحقول التجريبية ومختبرات البحوث "[٥٤].

وللوصول إلى هذا الهدف ينبغي وضع مناهج في كيفية استغلال الأراضي الموات وتنظيم أساليب استثمارها، والاستفادة من المنجزات المعاصرة في تطويرها ودعمها بالأسس العلمية الحديثة . ولاشك أن التطور الذي عم معظم ميادين الحياة قد شمل الميدان الزراعي وتم اكتشاف طرق لحماية النباتات من الآفات الزراعية وطرق أخرى لإنتاج أفضل المحاصيل ، ولا بد من تربية الأجيال على استخدام الأساليب الحديثة في السقي، والإنبات، والتلقيح، وحصد الثمار، وتخزينها ثم تصديرها لمن يستفيد منها .

***

(٥٤) الإسلام ومستقبل الحضارة ،ص١٥٣ .

ب - الثروة المائية :

تعتبر الثروة المائية من النعم المؤثرة في تنمية المجتمع، وتدخل في كثير من مناشط الحياة المعاصرة. ومن أهميتها ارتباط الحياة بها كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ} (الأنبياء: من الآية٣٠) .

فوجود الماء ضروري لجميع الكائنات الحية ،وبدونه لا تقوم حياة، بل إن أصلها هو الماء، وفي هذه الآية يقول الشنقيطي: "قال بعض العلماء: الماء الذي خلق من كل شيء هو النطفة،... وقيل هو الماء المعروف لأن الحيوانات إما مخلوقة منه مباشرة كبعض الحيوانات التي تتخلق من الماء، وإما غير مباشرة لأن النطف من الأغذية، والأغذية كلها ناشئة عن الماء، وذلك من الحبوب والثمار ونحوها ظاهر، وكذلك هو في اللحوم والألبان والأسماك ونحوها لأنه كله ناشىء بسبب الماء، وقيل غير ذلك" [٥٥]. والله الذي سخر هذه النعمة لبني البشر يقول في كتابه الكريم: {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ. أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ} (الواقعة: ٦٨-٦٩) .

---

(٥٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج٤ص٤٢٦ .

ولأهمية هذه الثروة، فإن الدول والمجتمعات تتنافس فيما بينها لتوفيرها لمجتمعاتها، وجلبها إلى أراضيها، واتخاذ السبل المختلفة لترشيدها ومنع تبذيرها والإسراف في صرفها .

ومن التوجيهات التربوية ما يلي :

١ - التربية على المحافظة على الثروة المائية بمختلف السبل

إن في الماء منافع جمة وفوائد لا تعد ولا تحصى ـ لأنه قوام الحياة المتحضرة، ولذا ينبغي تربية الأجيال على شكر المنعم الذي سخرها ونوع مصادرها، قال تعالى: { اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} الجاثية١٢.

وهذه الأهمية لهذا العنصر الحيوي من مقومات الحياة يقتضي العناية بهذه الثروة، ومن صور الاعتناء والمحافظة عليها إيجاد المتخصصين في الدراسات المائية، وإجراء البحوث والتجارب المتعلقة بطرق توفير المياه وترشيد استهلاكها، ومعرفة مشكلات المياه بهدف دراستها وتقديم البرامج والحلول المناسبة لها. كما أنه لابد من السعي لتطوير نظم الري والتغلب على مصاعب استجلاب المياه، وإيجاد الأساليب الحديثة لتخزين الأمطار والاستفادة منها في أراض مخزنة للماء.

وكذلك الاعتناء باكتشاف العيون والآبار وحفرها وتوجيهها في مساراتها المناسبة .

ومن المشكلات المعاصرة ندرة وجود الماء أو انعدامه في البيئات المختلفة، وقد بين القرآن هذه الظاهرة الكونية التي تحدث في بعض المجتمعات، ودل على كيفية التعامل معها حين حدوثها، بل قبل حدوثها، قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ} الملك٣٠ ، ففي الآية مشهد من مشاهد عجز الإنسان عن أن يجلب الخير لنفسه إلا بمعونة الله سبحانه وتعالى، وهذا المشهد يبين جانباً من جوانب إظهار رحمة الخالق بخلقه، يقول ابن كثير: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً} أي ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد، والغائر: عكس النابع، ولهذا قال تعالى: (فمن يأتيكم بماء معين) أي نابعٍ سائحٍ جارٍ على وجه الأرض، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل، فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة، فلله الحمد والمنة" [٥٦].

---

(٥٦) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، ص١٤٢٨.

وينبغي إجراء البحوث والدراسات التي تهتم بمياه الأمطار،ومعرفة خصائصها،وطرق الاستفادة منها وتصريفها. ومن عجائب مياه الأمطار أن كمية المطر واحدة لكل الأعوام، ولكن توزيعه في الكرة الأرضية يختلف من زمان إلى زمان ومن مكان لآخر، يقول الرسول ﷺ : (ما من عام بأكثر مطراً من عام ولكن الله يصرفه بين خلقه – حيث يشاء – ثم قرأ {ولقد صرفناه بينهم ليذكروا}[٥٧].

ومن الواجب تربية الأجيال على الحذر من المعاصي والذنوب التي تكون سبباً لجفاف الأرض وانقطاع الماء، كما أن من الواجب تعليم الطلاب أهمية التضرع إلى الله عند انحباس المطر، لأن الله سبحانه وتعالى بيده أن يغير المناخ ويصرف الرياح لإنزال المطر، ومن الوسائل العملية لذلك القيام بصلاة الاستسقاء في المدارس والمعاهد التعليمية .

٢ - ضرورة استخدام الثروة المائية وتوظيفها لرفع مكانة المجتمع وزيادة ثروته

إن دور التربية الإسلامية أن تعرف المتربين بالمصادر المائية المتاحة أوالفرص الممكنة لتوظيفها في ما يزيد من قوة المجتمع

---

(٥٧) صححه الألباني في الصحيحة برقم ٢٤٦١ .

ومكانته. فالمسطحات المائية من بحار وأنهار أو الثروة المائية الكامنة في الآبار والعيون تتطلب من أفراد المجتمع حسن استغلال وسرعة استثمار . فهي مصدر من مصادر الرزق، ومورد من موارد زيادة الثروة، ووسيلة من وسائل القوة.

وتعتبر الأنهار من المصادر المائية المهمة للمجتمعات، ولذلك تكثر التجمعات السكانية ومظاهر الحياة حولها، فمن الماء يشربون، ومنه تُسقى الزروع ثم يأكلون، وعليه من مكان إلى مكان يتنقلون، وبه يغسلون أجسادهم وملابسهم ويتنظفون قال تعالى: {اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ}إبراهيم٣٢ ، يقول الطاهر ابن عاشور: "تسخير الأنهار : خلقها على كيفية تقتضي انتقال الماء من مكان إلى مكان، وقراره في بعض المنخفضات فيستقي منه من يمر عليه، وينزل على ضفافه، حيث تستقر مياهه، وخلق بعضها مستمرة القرار كالدجلة والفرات والنيل للشرب، ولسير السفن عليها" [٥٨].

(٥٨) التحرير والتنوير، ج١٢ص٢٥٨.

ومن مياه البحار والأنهار يأكلون طعام البحر ، ومنها يستخرجون الدرر واليواقيت التي تجمل الملابس والمظهر ، قال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }النحل١٤.

وفي البحار توجد ثروة سمكية هائلة لا تقدر بثمن ذكرها سبحانه في قوله : {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (فاطر:١٢) ، هذا إضافةً إلى المجوهرات واللآلىء والصدف والإسفنج الذي يدخل في بعض الصناعات، واكتشف في هذا العصر الآبار البترولية الموجودة في بعض المحيطات، حيث تستفيد المجتمعات منه في الصناعة والتجارة وغيرها . كما أنه قد تستخدم هذه البحار والمحيطات لاستخراج مياه الشرب من خلال إنشاء مصانع لتحلية المياه .

وبهذا يمكن الاستفادة من المواقع الاستراتيجية في بعض المحيطات والبحار لما فيه مصلحة الأمة اقتصادياً وعسكرياً.

ويلاحظ أنه ينتشر في الأسواق الإسلامية كثير من المنتجات البحرية المستوردة من بلدان أجنبية كاليابان مثلاً مع أنه توجد مصادر بحرية كثيرة حول العالم الإسلامي .

كما أن الماء يدخل في بعض الصناعات والاختراعات التي تساهم في رفعة المجتمعات وتيسير وسائل الراحة لأفرادها .

٣ – التربية على الترشيد الاستهلاكي للماء

يُعتبر الماء ثروة قومية تتنافس الدول على تحصيله وجلبه لأراضيها ، ولذلك ينبغي تربية الأجيال على حسن التعامل مع هذه الثروة فيحافظون عليها حين الصرف والاستخدام، ولا يستخدمونها إلا في الأمور الضروية وبالقدر المناسب، وقد جاء التوجيه القرآني بعدم الإسراف عموماً فقال تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }الأعراف٣١ .

ولما كان الماء ثروة ثمينة، وجب الحرص على العناية بها وعدم تبذيرها، ولذلك تسعى الدول إلى وضع الأنظمة والقوانين الصارمة التي تدعم المحافظة على المياه.

وعلى المربين أن يعودوا أبناءهم وتلاميذهم على الاقتصاد والتوفير، والبعد عن التبذير في مختلف الموارد المادية والمعنوية "فإن السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشته، حتى

إنه ربما أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات"[59]. وبذلك يصبح هذا السلوك عادةً وجبلةً يمارسها المتربي في حياته، ومع نفسه فيما يتعلق بخصوصياته، ومع الآخرين فيما يتعلق بخصوصياتهم، أو فيما يخص النفع العام.

وقد حث ديننا الحنيف على الاقتصاد في استخدام الماء حتى في أداء العبادات التي تحتاج إليه، وحذر من الإسراف فيه، ولو كان المتوضيء على نهر جار، أو أمام بحر متلاطم الأمواج ، وبين النبي ﷺ أن المسرفين في استخدام الماء هم من المعتدين، يقول ﷺ : (سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء) [60].

ومن حسن التعامل مع الماء أن يحافظ عليه من التلوث سواءً برمي الفضلات في مصادر المياه وتجمعاتها أو بتحويل مياه الصرف الصحي إليها .

٤ – التربية على حسن استثمار الماء في الميادين المختلفة

يوجه القرآن المجتمع الحضاري إلى حسن استثمار هذه الثروة المائية فيما ينفع الأفراد ويوفره للمشاريع الزراعية

---

(٥٩) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي، ص٢٨٧.

(٦٠) رواه أبو داود في كتاب الطهارة باب الإسراف في الوضوء .

وغيرها، وقد ذكر القرآن الكريم العلاقة القوية بين الزرع والماء فقال تعالى : {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ}ق٩. وقال: {اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ} إبراهيم٣٢. يقول الألوسي: "جعلها معدة لانتفاعكم حيث تشربون منها ، وتتخذون جداول تسقون بها زرعكم وجناتكم وما أشبه ذلك،هذا إذا أريد بالأنهار المياه العظيمة الجارية في المجاري المخصوصة، وأما إذا أريد بها نفس المجاري فتسخيرها بتيسيرها لهم لتجري فيها المياه" [٦١].

ومن حسن استثمار الماء صرفه لمن يحتاجه، و إعطاؤه لمن يستفيد منه كما قال ﷺ: (من منع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة) [٦٢].

وقال ﷺ : (لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ) [٦٣] .

***

---

(٦١) روح المعاني للألوسي، ج١٣ص٢٢٤.

(٦٢) رواه أحمد (ج٢ص١٧٩) وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٤٢٢ .

(٦٣) رواه مسلم في كتاب المساقاة .

ج - الثروة الحيوانية

تتعدد أنواع العلاقات الإنسانية مع المخلوقات الحيوانية من عدة وجوه، وهذه العلاقات يمكن استثمارها في زيادة الناتج القومي للأمة، والاستغناء عن غيرها من الأمم وتحقيق حاجاتها من هذا الجانب الحيوي. ولعظيم فائدتها وأثرها فقد امتن الله على عباده بهذه المخلوقات، وأشار إليها في كثير من الآيات، قال تعالى: {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} (النحل:٥).

وقال أيضاً: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ .وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ. وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ}(يس: ٧١-٧٣)، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: " يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم (فهم لها مالكون) أي مطيقون، جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه، كذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر، لسار الجميع بسير الصغير، (ومنها ركوبهم) أي منها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليها

الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار، (ومنها يأكلون) إذا شاؤوا نحروا واجتزروا (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين (ومشارب) أي من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى ونحو ذلك"[٦٤].

و من فرص الاستفادة منها ما يلي :

١ - توجيه الأجيال للاستفادة من المنتجات الحيوانية في دعم اقتصاد المجتمع

أشار القرآن الكريم إلى بعض فوائد الثروة الحيوانية، ومنها الغذاء. والغذاء من الحاجات الأساسية التي يمكن توفيرها من كثير من الحيوانات، سواءً الأكل من لحومها أوالشرب من ألبانها، قال تعالى : {فَكُلُوا مِنْهَا}(الحج:٢٨) ، وقال أيضاً {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ} (النحل:٦٦). يقول الطاهر بن عاشور: "هذه حجة أخرى ومنّةٌ من المنن الناشئة عن منافع خلق الأنعام، أُدمج في متنها العبرة بها في دلالتها على بديع صنع الله...،ومناسبة ذكر هذه النعمة هنا أن بألبان الأنعام حياة الإنسان، كما تحيا الأرض بماء السماء" [٦٥].

---

(٦٤) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص١١٤٨.

(٦٥) التحرير والتنوير ،ج١٣ص١٦٠.

وقال المراغي: "أي وإن لكم أيها الناس لعظةٌ من الأنعام، دالةٌ على باهر قدرتنا، وبديع صنعنا، وواسع فضلنا ورحمتنا بعبادنا، فإننا نسقيكم مما في بطونها من اللبن الخالص من شائبات المواد الغريبة، السهل التناول، اللذيذ الطعم، هو متولد من بين فرث ودم"[٦٦].

ومن المنتجات الحيوانية اللحوم والبيض والسمن والجلود واللبن، ولها فوائد كثيرة جداً تساهم في رفع المستوى المعيشي للأفراد، ودعم الاقتصاد الإجمالي للمجتمع. وفي صيد الحيوانات وسيلة لاكتساب الرزق من جراء بيع المصيد أو ما ينتج عنه، وربما أمكن إقامة حظائر لتربية الحيوانات، أو إقامة مصانع للاستفادة من الجلود والأظلاف والعظام والشعر وغيرها، واتخاذ الوسائل الكفيلة بحسن استثمارها.

٢ - تعلم الآداب الإسلامية الحضارية في التعامل مع الحيوانات

هناك آداب كثيرة في التعامل مع هذه البهائم، منها الرفق بها وتجنب تعذيبها، وعدم ظلمها، أو تحميلها مالا تطيق، ونهى الشارع الحكيم عن اتخاذها غرضاً أو هدفاً لتعلم الرماية أو التدرب على القنص. و قد جاء الإسلام بهذه المبادئ قبل أن تتشدق بها جمعيات الرفق بالحيوان التي تفخر بها الحضارة الحديثة.

---

(٦٦) تفسير المراغي، ج٥ص٢٢٦.

ومن الآداب تعليم الأجيال كيف تراعى الأساليب الحضارية في صيد الحيوان وحبسه وذبحه، وكذلك معرفة الحيوانات التي يجوز صيدها والتي لا يجوز ، ومعرفة الأماكن والأوقات المباحة وغير المباحة. ومن الأمور المهمة التي ينبغي للصياد المسلم مراعاتها هو التسمية عند ذبح الحيوان أو عند إرسال جارحة الصيد (كالصقر أو الكلب) أو عند إطلاق البندقية أو السهم، لقوله تعالى:{وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ}(الأنعام: من الآية١٢١).

٣ - الاستفادة منها في تجميل الحياة وتزيينها

فالتمتع بالجمال حاجة فطرية في الكائن البشري ، والحضارة تسعى للحصول على الجمال في صوره المتعددة ، في الملبس والمسكن والمركب . وهذه الحيوانات تستخدم للركوب والاستئناس بالنظر إليها والتمتع باقتنائها وفي ذلك تلبية لحاجة نفسية في بني البشر . قال تعالى : {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ} (النحل:٨). وقال تعالى : {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} (النحل:٦) .

يقول القرطبي رحمه الله: " وجمال الأنعام والدواب من جمال الخلقة وهو مرئي بالأبصار موافق للبصائر، ومن جمالها كثرتها، ولأنها إذا راحت توفرحسنها وعظم شأنها وتعلقت القلوب بها لأنها إذ ذاك أعظم ما تكون أسنمةً وضروعاً ... ولهذا المعنى قدم الرواح على السراح لتكامل درها، وسرور النفس بها "[٦٧].

وقد أخبر المصطفى ﷺ أن في اتخاذ بعض أنواع الحيوانات بركة وعزاً لأصحابها حيث يقول عليه الصلاة والسلام: (الإبل عز لأهلها والغنم بركة والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة)[٦٨]. يذكر الإمام القرطبي رحمه الله فائدة لطيفة عن هذا الحديث حيث يقول: "وإنما جمع النبي ﷺ العز في الإبل لأن فيها اللباس والطعام والشراب واللبن والحمل والغزو ، وإن نقصها الكر و الفر . وجعل البركة في الغنم لما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة الأولاد ... إلى ما يتبعها من السكينة وما تحمل صاحبها عليه من خفض الجناح ولين الجانب بخلاف الفدادين من أهل الوبر . وقرن النبي ﷺ الخير بنواصي الخيل بقية الدهر لما فيها من الغنيمة المستفادة

(٦٧) الجامع لأحكام القرآن، ج١٠ ص٧١ .
(٦٨) صححه الألباني في الصحيحة برقم ١٧٦٣ .

للكسب والمعاش وما يوصل إليه من قهر الأعداء وغلب الكفار وإعلاء كلمة الله "[٦٩].

كما أن في العناية بهذه الحيوانات أجر عظيم ، ففي كل كبد رطبة أجر، قال ﷺ : (ما من امرىء مسلم ينقي لفرسه شعيراً ثم يعلفه عليه إلا كتب له بكل حبة حسنة)[٧٠].

وللخيول في الإسلام عناية خاصة، وذلك لما لها من فوائد في السلم والحرب، وقد بين النبي ﷺ أصناف الناس في التعامل معها ، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخيل في نواصيها الخير) أو قال الخيل معقود في نواصيها الخير (قال سهيل أنا أشك الخير) إلى يوم القيامة. الخيل ثلاثة فهي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر .فأما الذي هي أجر فالرجل يتخذها في سبيل الله، ويعدها ، فلا تغيب شيئا في بطونها إلا كتب له أجر، ولو رعاها في مرج ما أكلت إلا كتب له بها أجر . ولو سقاها من نهر جار كان له بها بكل قطرة تغيبها في بطونها أجر . (حتى ذكر الأجر في أبوالها وأوراثها) ولو استنت شرفا أو شرفين كتب له بكل خطوة تخطوها أجر، وأما

(٦٩) الجامع لأحكام القرآن،ج١٠،ص٨٠ .

(٧٠) صححه الألباني في الصحيحة برقم ٢٢٦٩ .

الذي هي له ستر فالرجل يتخذها تكرما وتجملا ولا ينسى حق ظهورها وبطنها في عسرها ويسرها، وأما الذي هي عليه وزر فالذي يتخذها أشرا وبطرا وبذخا ورياء للناس فذلك الذي هي عليه وزر ،ولو استنت (شرفا أو شرفين) [٧١].

***

(٧١) قال الألباني : صحيح .

ثانياً - البناء التربوي في الميادين الصناعية

تعتمد المجتمعات المعاصرة على الصناعة في كثير من المجالات، والصناعة تستثمر الكنوز المعدنية المخزنة في باطن الأرض، أو التي تستوردها من الدول الأخرى، وتستفيد منها في السلم والحرب. ويعتبر التصنيع من أهم الوسائل المحركة للتنمية الحضارية ، وفيه استغلال للموارد الطبيعية الموجودة في الأرض كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والخشب والزجاج والمواد البترولية، إضافةً إلى ما فيه من تنشيط للأيدي العاملة .

وتبرز توجيهات التربية الإسلامية في هذا الميدان كما يلي :

١ -الاقتداء بالأنبياء في ممارسة الأعمال والمهن الصناعية

لقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الصناعات التي مارسها الأنبياء عليهم صلوات ربي وسلامه. فكان نوح عليه السلام يتخذ الخشب والحديد في صناعة السفينة، قال تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ } هود٣٨.

أما داود عليه السلام فقد أعطاه الله معدن الحديد "يسهل تصويره وتصريفه كما يشاء فيعمل منه الدروع وآلات الحرب

على أتم النظم وأحكم الأوضاع، فيجعل حلقاتها على قدر الحاجة" [٧٢]. قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ.أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }سبأ١٠-١١.

وقال تعالى: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ}الأنبياء٨٠، قال القرطبي : "هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، فالسبب سنة الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضاً يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثاً، ونوح نجاراً،ولقمان خياطاً، وطالوت دباغاً، فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع به عن نفسه الضرر والباس"[٧٣].

أما سليمان عليه السلام فقد آتاه الله قدرات خارقة في استخدام بعض المعادن وتصنيعها، قال تعالى:{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن

---

(٧٢) تفسير المراغي، ج٨ص٥٣.

(٧٣) الجامع لأحكام القرآن،ج٦ص٣٢١.

يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ.يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} سبأ١٢-١٣.

فهذه الأيدي العاملة من الجن كانت ماهرةً في صنعتها، وكانوا يستجيبون لأوامر سليمان عليه السلام، وكانوا " يعملون له ما يشاء من القصور الشامخة والصور المختلفة من النحاس، والزجاج، والرخام، ونحوها، والجفان الكبيرة (أي القدور) التي تكفي لعشرات الناس" [٧٤].

٢ - إتاحة المجال للمتربين لممارسة أساليب التقدم الصناعي

لا بد من الاستفادة من الفروق الفردية بين الناس في توجيه المتربين نحو المجالات التي تميل إليها نفوسهم، وقد ذكر القرآن حقيقة الاختلاف في مواضع كثيرة، قال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام:١٦٥) ، فجميع المتربين يشتركون في مفهوم الاستخلاف ولكنهم يتمايزون في الجسم والعقل، والمال والممتلكات،

(٧٤) تفسير المراغي، ج٨ص٥٥.

والقدرات والاستعدادات، وهذه القسمة، وهذا التنوع يبين جانباً من فضل أحكم الحاكمين وعدل رب العالمين،قال تعالى : {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (الزخرف:٣٢) .

فلما كان المتربون يتفاوتون في ميولهم ومهاراتهم، فإنهم لذلك تتفاوت الحرف والمهن التي يستطيعون ممارستها، ويحققون من خلالها المكسب المادي والتفوق الحضاري، وبممارسة مختلف الحرف والمهن يحقق المجتمع حاجاته ويستفيد الناس من بعضهم. يقول علي محمود: " إن الحرية في العمل وفي الإنتاج والاستهلاك والتبادل ... هي المنطلق الملائم للحاجات البشرية المشروعة ، والمتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها " [٧٥]. والحرية المهنية يشترط فيها أن تكون مقيدة بالقيود الشرعية لكي يبرز تميز الأمة المسلمة والحضارة الراقية التي تخرجها للعالم.

وبالرجوع إلى عصر خير القرون حيث الحضارة المزدهرة نجد أنه قد مورست أنواع عديدة من الحرف والصناعات ، ومنها ما ذكره عبدالعزيز العمري [٧٦] :

---

(٧٥) مع العقيدة والحركة والمنهج في خير أمة أخرجت للناس، ص٢٥١ .

(٧٦) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ ، ص٣٨١- ٣٨٤.

- الحرف المعاشية كالصيد والرعي والزراعة .
- الصناعات الحربية كصناعة الأقواس والرماح والسيوف.
- الحرف العلمية كالقراءة والكتابة والترجمة .
- الحرف الصحية كالتطبيب والتمريض وصناعة الأدوية .
- الحرف العامة كالحدادة وصناعة النسيج والخياطة .

وقد باشر الصحابة أنواعاً من الأعمال الحرفية التي كانت سائدة في ذلك الوقت على مرأى ومسمع من رسول الله ﷺ الذي كان يكلفهم أحياناً ببعض المهام، كما أمر زيد بن ثابت بممارسة مهنة الترجمة، أوكان يشجعهم أحياناً في بعض المناسبات. وذكر كمال عيسى أن "خباب بن الأرت كان حداداً، وسعد بن أبي وقاص كان صانع نبال، والزبير بن العوام كان خياطاً، وسلمان الفارسي كان حلاقاً " [٧٧] ، وكان بلال بن رباح مؤذناً، وأنس بن مالك خادماً، وكان أبو بكر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم من كبار تجار الدولة الإسلامية الأولى. ولا شك أن إبراز مثل هذه النماذج للأجيال يدفعهم للاقتداء، وممارسة كافة الصنائع والمهن التي تنفع المجتمع، وخاصةً ممارسة الصناعات الحديثة التي تحتاج

(٧٧) خصائص مدرسة النبوة ، ص ٩٧ .

إليها الأمة، لأن تحقيق حاجات الأمة من مقاصد الشريعة الإسلامية .

٣ – تفعيل المصانع والمؤسسات الصناعية في المجتمع المسلم

حيث تبذل الجهود والدراسات لتطوير الصناعة وتحسينها لتحقيق التقدم والقضاء على أنواع المشكلات في سائر أنحاء العالم الإسلامي. وتبرز أهمية تطوير الأساليب الصناعية ونظمها من خلال المنافسة القائمة بين الدول المختلفة، والتي تحرص كل منها على الحصول على أكبر قدر من المدخولات المالية لتنفيذ خطط التنمية . وتسعى الأمم المتحضرة للقضاء على ما يواجه تنفيذ خطط التنمية من مشاكل وعقبات، أوتسبب في تأخر الأمة وعدم تفوقها .

كما ينبغي إيجاد الشعور بضرورة تقوية المسلمين لبعضهم بتشجيع الصناعات الوطنية والمنتجات الإسلامية، وتفضيلها على المنتجات المستوردة من بلاد الكفر والإلحاد والوثنية .

وبعد أن يحس المتربون بهذا الشعور، تُتخذ خطوات عملية تناسب مداركهم الذهنية وقدراتهم المادية البسيطة .

وهذه الخطوات الميسرة لعموم المتربين هي بداية الطريق لغرس الشعور بأهمية إقامة اتحادات وتكتلات اقتصادية توجد التوازن بين الصادرات والواردات ولا سيما بين الدول ذات

الإمكانات والموارد الضخمة ، حتى إذا ما أمسك المتربون بزمام الأمور في البلدان الإسلامية، نفذوها واقعاً، وبذلوا الجهود والدراسات لزيادة الصادرات وتطويرها، وتحقيق الجودة في الإنتاج والتقليل من حجم الواردات .

ومن الخطوات العملية توجيه الأجيال لمواجهة التخلف الاقتصادي بممارسة الحلول العملية الشرعية المتاحة للمتربين التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، حيث تحتوي على الكثير من الفرص والحلول العملية التي تدفع بالحركة الصناعية إلى الأمام.

ومن أمثلة الحلول العملية التي ينبغي إطلاع المتربين عليها إبرام ما يسمى بعقود الاستصناع ، وعقد الاستصناع عرفه سعود الثبيتي " أن يُطلب من الصانع عمل شيء مادته عنده على وجه خاص "[٧٨].

ودور التربية الإسلامية أن تحث الأجيال على العمل على اكتشاف هذه الموارد واستغلالها بتصنيعها وتشكيلها بما يعود على الأمة بالنفع العام ويسد احتياجات السوق . وقد ذكر سعود الثبيتي فوائد حضارية للاستصناع نلخصها فيما يلي :

- التكامل بين الخبرات ورأس المال فتكثر المشاريع الحضارية.

(٧٨) الاستصناع.. تعريفه، تكييفه،حكمه، شروطه، اثره في تنشيط الحركة الاقتصادية، ص١٤ .

- تحقيق الاستقرار الاقتصادي والتوازن بين العرض والطلب.
- إشباع الحاجات التي تؤدي إلى التوسعة وتجنب أفراد الأمة المشقة والحرج.
- تحسين مواصفات السلع مما يؤدي إلى رواجها وتزيين الحياة بها وهذا مطلب من مطالب الحضارة .
- ضمان تقلبات الأسعار وذلك بدفع السعر المتفق عليه عند العقد.
- ضمان الصانع عدم ركود السلع عنده أو فسادها فلا يصنع إلا ما يتفق على صناعته.
- توفير السيولة المالية التي يحصل بها تمويل مشاريع صناعية وتجارية وعقارية جديدة.

- إحلال الناتج المحلي مكان المستورد الذي تخرج أثمانه إلى خارج ديار الإسلام فتقل العملات الصعبة التي تحرص الدول على الحصول على أكبر قدر منها [٧٩].

وعند تأمل قوله تعالى مخاطباً نوح عليه السلام : {فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} (المؤمنون: من الآية٢٧)،

---

(٧٩) المرجع السابق، ص٨٢- ٨٦ .

نجد التوجيه الصريح للصناعة وما ذلك إلا لأهميتها في حياة الناس والأمم . وحين تستوعب الأجيال هذه الرسالة تبذل جهدها للاستغناء عن الصناعات الغربية والشرقية التي غزت أسواق المسلمين وانتشرت بها أنواع الكماليات والأساسيات وجعلتهم يعتمدون على ما تلفظه الدول الأجنبية من منتوجات واختراعات.

ولمواجهة التخلف الصناعي ينبغي تبصير الأجيال بأسرار التفوق في الصناعات، ومحاولة التسابق والمنافسة مع الدول الأخرى المتقدمة في هذا الميدان، ذلك أنه إذا لم يدركوا هذه الأسرار فلن يستطيعوا التقدم والتفوق في هذا المجال ،ولن ينفعوا المجتمع الذي يعيشون فيه.

٤ - استغلال الثروة المعدنية في الصناعات المختلفة وزيادة الدخل العام

تعتبر الثروة المعدنية من الميادين المهمة في الجوانب الاقتصادية والصناعية ،وهي ذات أهمية كبرى في الحضارة المعاصرة . وتزخر أراضي الدول الإسلامية بالعديد من المعادن والخامات، ويتوفر بها الفوسفات والرصاص والذهب والمنجنيز والحديد والكروم والقصدير والنحاس والألمنيوم وغيرها . ولذلك كان لابد من الاهتمام بها واستخراجها ،

والمسارعة في التنقيب عن تلك الكنوز والثروات المدفونة حتى تصبح رافداً من روافد التنمية ووسيلةً من وسائل تنويع مصادر الدخل . والمنافع الحضارية المتحصلة من المعادن لا حصر لها ،وقد ذكر القرآن الكريم أحد هذه المعادن وأشار إلى فائدتها، قال تعالى : {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحديد: من الآية٢٥).

وعند شرحه لهذه الآية ،يقول ابن سعدي رحمه الله: "ومنافع للناس : وهو ما يشاهد من نفعه في أنواع الصناعات والحرف والأواني وآلات الحرب،حتى إنه قل أن يوجد شيء إلا وهو يحتاج إلى الحديد " [٨٠]. ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى : "أي في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم والمنشار والإزميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لاقوام للناس بدونه " [٨١] .

والثروة المعدنية اليوم لها استخدامات كثيرة جداً ، وتدخل في معظم الصناعات والأجهزة والمهن . والنهوض بهذه الثروة وتطويرها يعني النهوض بالصناعة والمنافسة فيها ،

---

(٨٠) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٨٤٢ .

(٨١) تفسير ابن كثير ،ج٤ص٣١٥ .

ولذلك فإن تربية الأجيال على العناية بهـذا المجـال يسـاهم في رفعة شأن الأمة وتقدمها .

ولتحقيق الاستثمار الأمثـل لهـذه الثـروات ، ينبغـي عـلى الحكومات و أصحاب رؤوس الأموال والقطاع الخاص إعداد الخطط و رصد الأموال للوصول إلى ما يلي :

أ ـ إنشاء المختـبرات المتخصصـة في التعـدين والمعـادن لتـوفير الدراسات والبحوث المهتمة باستكشاف مواقع الخامات .

ب – تهيئة الخـبراء القـادرين عـلى إعـداد دراسـات الجـدوى الاقتصادية لمواقع المعادن، وتشجيعهم مادياً ومعنوياً .

ج – اخـتراع الأجهـزة والآلات التـي تسـاهم في سرعـة استخراج الخامات المنجمية والمحجرية، وتقليل الإهدار الكمي والكيفي عند استخراجها وإنتاجها .

د – تكوين الهيئات الاقتصادية والمؤسسات القوية في مجالات الصناعة .

هـ - التخفيف أو إزالة الأنظمة التي تحد من الانطلاق في المشاريع الاقتصادية المختلفة، سواءً من الموارد البشرية أو المادية .

و يمكن توجيه المتربين لدخول هذا المجال واستغلال الفرص المتوفرة فيه والتي تساهم بقوة في صناعة الحضارة

وتفوق المجتمع المسلم، ومن ذلك الاستفادة من الشباب القادرين على الالتحاق بالمهن الصناعية المتعددة.

***

ثالثاً - البناء التربوي في الميادين التجارية

يعتبر هذا الميدان من المظاهر المهمة في الحضارات على اختلاف أشكالها، وتحرص المجتمعات على التبادل التجاري مع غيرها من خلال الاستيراد والتصدير. وتعتبر عائدات التصدير من المصادر الرئيسة لتمويل الإنفاق العام وتنمية المجتمع، كما أن الاستيراد يشكل سبيلاً مهماً من سبل الحصول على أنواع السلع التي يحتاجها المجتمع . ومن التجارة يوفر المجتمع السيولة المالية التي تحقق متطلباته، فالمال هو عصب الحياة وقوامها كما قال تعالى: {أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً} (النساء: من الآية٥)، يقول ابن سعدي رحمه الله : "لأن الله جعل الأموال قياماً لعباده في مصالح دينهم ودنياهم" [٨٢].

والمجتمع الذي ملئت خزائنه وكثرت أرصدته، يعم في ربوعه الخير والسعادة، وينعم أفراده بالرخاء، ويتبادلون المنافع التجارية بينهم بكل أمن واطمئنان . يقول الطاهر بن عاشور: "وأضيفت الأموال إلى ضمير المخاطبين (يا أيها الناس) إشارة بديعة إلى أن المال الرائج بين الناس هو حق المالكين المختصين

(٨٢) تيسير الكريم الرحمن، ص١٦٤.

به في ظاهر الأمر، ولكنه عند التأمل تلوح فيه حقوق الأمة جمعاء، لأن في حصوله منفعةٌ للأمة كلها، لأن ما في أيدي بعض أفرادها من الثروة يعود على الجميع بالمنفعة الصالحة، فمن تلك الأموال ينفق أربابها، ويستأجرون ويشترون، ويتصدقون ثم تورث عنهم إذا ماتوا، فينتقل المال بذلك من يد إلى غيرها، فينتفع العاجز، والعامل، والتاجر، والفقير، وذو الكفاف. ومتى قلت الأموال من أيدي الناس تقاربوا في الحاجة والخصاصة، فأصبحوا في ضنك وبؤس، واحتاجوا إلى قبيلة أو أمة أخرى، وذلك من أسباب ابتزاز عزهم، وامتلاك بلادهم، وتصير منافعهم لخدمة غيرهم، فلأجل هذه الحكمة أضاف الله تعالى الأموال إلى جميع المخاطبين، ليكون لهم الحق في إقامة الأحكام التي تحفظ الأموال والثروة العامة، وهذه إشارة لا أحسب أن حكيماً من حكماء الاقتصاد سبق القرآن إلى بيانها" [٨٣].

والمال في الأصل هو مال الله يؤتيه من يشاء، ويبتلي به من يشاء من عباده لينظر من يقوم بحقه ومن لايقوم، قال تعالى: {وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ } النور٣٣.

(٨٣) التحرير والتنوير، ج٤ص٢٦.

والسياسة المالية في الإسلام لها أسس وضوابط، ينبغي تربية الأجيال على استيعابها وحسن التعامل مع مفرداتها، كي لا تقع في المحظورات أو تنشغل عن المهمات .

ويتمثل دور التربية في هذا الميدان في الجوانب التالية :

١ - اعتبار التنمية التجارية من مراتب العبادة

من أسس التربية الإسلامية أن العبادة ليست مقتصرةً على الشعائر التعبدية، وإنما تشمل الأفعال الدنيوية البحتة التي يصاحبها النية الصالحة . فالضرب في الأرض والسعي في طلب الرزق والمشاركة في النشاط التجاري من الأمور المستحبة التي يجب الحث عليها نبذاً للكسل والخمول وتقرباً للخالق ودعماً لاقتصاد الأمة والمجتمع، يقول المولى سبحانه وتعالى : {وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ الله وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله} (المزمل: من الآية٢٠). فهذه الآية جمعت بين عبادة الجهاد التي فيها إزهاق الأرواح وتعريضها للهلاك، وبين عبادة التجارة التي هدفها جلب الأموال وزيادة الثروة وبناء المجتمع.

وغاية التنمية التجارية في الإسلام هو خدمة الإنسان لنفسه، ولمجتمعه، ولأمته، وتوفير الحرية للفرد الذي كرمه الله

وأمره بتعمير الأرض ونشر الخير فيها، يقول محمد الفنجري : " أما التنمية الإسلامية فباعثها ليس الربح –فقط – شأن الرأسمالية، ولا أهواء القائمين على الحكم شأن التنمية الاشتراكية، وإنما هو ضمان حد الكفاية لكل مواطن ليتحرر من أي عبودية أو حاكمية إلا عبودية وحاكمية الله وحده "[٨٤].

وتتيح التعاليم الإسلامية فرص الاستثمار المشروع بعيداً عن الولوغ في المعاملات التجارية التي حرمها الله أو نهى عنها. يقول صبحي الصالح : "وبفضل هذه التعاليم المشجعة على الاستيراد والتصدير والداعية إلى تطوير الصفقات التجارية وتنظيم العقود وتنسيق الأعمال في الشركات ، ابتكر فقهاء الإسلام بعبقريتهم القانونية (الفقهية) ما لا حصر له من أبواب التجارة ومسائل الاقتصاد وقضايا المعاملات حتى شملت جميع أشكال البيوع، ...واستوعبت كل الموارد والدخول، كل ذلك بشرط أساسي لا بد منه وهو خلو تلك المعاملات جميعاً من الكسب غير المشروع "[٨٥].

---

(٨٤) الإسلام وعدالة التوزيع، ص٣٨.

(٨٥) الإسلام ومستقبل الحضارة، ص١١٣ .

ومما يرغب المتعلمين بأهمية التنمية التجارية معرفتهم أن التاجر الذي يحسن البيع والشراء والاقتضاء له منزلة رفيعة عند الله، وخاصةً إذا أنفق مما حباه الله من أموال في أنواع البر، ما يدخره لنفسه يوم القيامة، وينفع به الأمة، ويلبي شيئاً من مطالبها واحتياجاتها. قال تعالى : {مَّا أَفَاء الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ} الحشر٧ .

وإذا تحقق الشعور بأن التجارة هي باب من أبواب العبادة كغيرها من فروض الكفايات، وجب على المسؤولين التربويين تربية الأجيال على الالتزام بتوجيهات الإسلام في تنمية الثروة واستخدامها، فمن المهم أن يكون البناء الاقتصادي للأمة على قواعد راسخة من توجيهات الكتاب والسنة، وليس نابعاً من تقليد الأمم الأخرى البعيدة عن المنهج الرباني في تعاملاتها التجارية من حيث الكسب والتوفير والإنفاق، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى : {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} (الفرقان:٦٧) ، يقول الإمام السمعاني رحمه

الله: "كل إنفاق في غير طاعة الله فهو إسراف، وكل منع عن طاعة الله فهو إقتار" [٨٦].

وتوجيهات الإسلام في تنمية الثروة تُشيع في المجتمع روح المحبة والتآلف بين أفراده، مما يدفعهم إلى العمل البناء، و التركيز على ما يحقق تقدمه وتفوقه . يقول مقداد يالجن : " ومن ثم تتبين لنا قيمة التوجيه التربوي الإسلامي في بناء الحضارة من الناحية الاقتصادية من ناحيتين : ناحية الإنتاج إذ إنه يكون روح المثابرة إلى العمل المتقن وإلى اختراع ما يفيد المجتمع ويحل مشكلاته، وناحية الإنفاق إذ تنشئ وتعود الجيل على عدم الإسراف والتبذير، وعدم الإنفاق إلا فيما يجب الإنفاق فيه. ومعلوم أن الاقتصاد لا ينمو في أي مجتمع إلا بهاتين الطريقتين : كثرة الإنتاج والتنمية في مختلف المجالات ثم الاقتصاد في المصروفات " [٨٧].

وفي الإسلام أمثلة وبدائل فعالة لزيادة الإنتاج وتنشيط الحركة التجارية كالمضاربة والجلب (الاستيراد) وأنواع البيوع المختلفة وغيرها مما يمكن وضعه في الاعتبار عند إعداد المناهج، وهي بذلك تفتح آفاقاً للمتربين للمساهمة في رفع شأن

(٨٦) تفسير القرآن للسمعاني، ج٤ص٣١.

(٨٧) توجيه المتعلم إلى منهاج التعليم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي ،ص١٥٢ .

الأمة والترقي في مراتب الحضارة من خلال هذه الحلول المرتبطة بالتعاليم الإسلامية .

٢ – الالتزام بالمبادىء والقيم الإسلامية في التعامل التجاري

لما كان الطبع البشري حريصاً على جمع المال وتخزينه ، ينبغي أن يتربى الناشئة على عدم الشره في تحصيله ، والاتصاف بالأخلاق الحميدة في كل المعاملات التجارية صغرت أوكبرت، بل يكون هذا ديدن المتربي حتى مع المخالفين في العقيدة . ومن مظاهر التربية الإسلامية في هذا الميدان هو أن تنتشر في نفوس المتربين قيم المحبة والتعاون والنزاهة والثقة المتبادلة ، وتجنب الكذب والجشع والأثرة وعدم الغش والخداع. ومن أهم المبادىء الرضا بما قسم الله من أرزاق على العباد ، قال تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} الزخرف٣٢.

ومن هذا المنطلق ينبغي توجيه المتربين إلى نبذ جميع أشكال الكسب غير المشروع التي تنافي العبودية الحقة لفاطر السماوات والأرض ، فيتربوا على اجتناب الفسوق والغصب والرشوة والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل .

وعندما لا يراعي المتربون أخلاقيات التجارة يسلكون سبلاً ملتوية ويمارسون ألاعيب شيطانية في بيع البضائع وتوزيع السلع ، وقد يلجأ البعض إلى ترويج الأغذية المغشوشة والأدوية الفاسدة فيسبب الأضرار الجسيمة لأفراد المجتمع في صحتهم وأحوالهم وأموالهم، ويكون المال الذي اكتُسب من جراء هذه التعاملات المشبوهة أو المحرمة وبالاً على صاحبه، ومؤدياً إلى طريق النار والعياذ بالله.

قال تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة١٨٨، قال القرطبي: "المعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، فيدخل في هذا القمار والخداع، والغصوب، وجحد الحقوق، وما لاتطيب به نفس مالكه، أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، كمهر البغي، وحلوان الكاهن، وأثمان الخمور والخنازير، وغيرذلك "[٨٨]. ومن دخل باب التجارة فينبغي أن يوجه إلى تعلم أنواع البيوع المحرمة التي نهى الشرع عنها كي لا يتبوأ مقعد الفجار ، قال ﷺ : (إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق) [٨٩].

---

(٨٨) الجامع لأحكام القرآن ،ج٦ص٣٣٨.

(٨٩) رواه الترمذي في كتاب البيوع وصححه الألباني برقم ٩٩٤.

ومن خلال النشاط التجاري النظيف الذي يتربى عليه الناشئة يصبحون دعاةً إلى القيم الإسلامية في أوساط المسلمين وفي خارج بلدانهم، كما حصل لبناة الحضارة الأوائل. يقول عمر حسنة:" التاجر المسلم الملتزم بشريعة الله في معاملته المتمثل لأخلاق الإسلام في مسالكه وعلاقاته، كان هو الوسيلة الأقدر والأكثر نفعاً في انتشار الإسلام وإقبال الشعوب عليه عن طواعية واختيار ، ذلك أن معظم بلاد العالم الإسلامي لم يصلها الإسلام عن طريق الفتح الإسلامي وإنما عن طريق الخلق الإسلامي المتميز الذي حمله التاجر بسلوكه رغم قلة بضاعته في العلم والفقه أحياناً " [٩٠].

وبالمحافظة على المبادىء والقيم يصل التاجر إلى أرفع الدرجات عند الله ، يقول ﷺ : (التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة) [٩١].

ونتيجة هذه التربية ما يوضحه مقداد ياجلن بقوله :" إننا يمكن أن نقيس مدى ما وصلت إليه المدنية في المعاملات التجارية بين الناس لأنها هي التي تعبر عن مدى ما وصلت إليه المشاعر الأدبية السامية لدى الناس ومدى احترامهم لهذه المشاعر "[٩٢].

---

(٩٠) حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص٣٣١ .

(٩١) رواه ابن ماجة في كتاب التجارات.

(٩٢) توجيه المتعلم إلى منهاج التعليم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي، ص٩٥ .

٣ – إعداد الأجيال لمراعاة التوازن الاقتصادي

فالتوازن الاقتصادي في الأمة مطلب حضاري لتحقيق الأمن التجاري والاجتماعي والسياسي ، ولذا يحسن تربية الأجيال على العدل والمحبة والتعاون في أمور الثروة والمال وعدم السماح لفئة أن تستأثر بخيرات الأمة، يقول تعالى: {كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}(الحشر: من الآية٧)، "وقد بدا من هذا التعليل أن من مقاصد الشريعة أن يكون المال دولة بين أمة الإسلامية على نظام محكم في انتقاله من كل مال لم يسبق عليه ملك لأحد مثل الموات، والفيء، واللقطات، والركاز، أو ما كان جزءاً معيناً مثل الزكاة والكفارات وتخميس المغانم، والخراج، والمواريث، وتعدد المعاملات التي بين جانبي مال وعمل، مثل القراضة، والمغارسة، والمساقاة، وفي الأموال التي يظفر بها الظافر دون عمل وسعي مثل الفيء، والركاز، وما ألقاه البحر" [٩٣].

وقد اثبت الواقع في المجتمعات المعاصرة والغابرة أن عدم مراعاة التوازن الاقتصادي يؤدي إلى الكثير من المشكلات والعقبات، وكل خلل أو نقص في المجتمع سببه مناقضة السنن

---

(٩٣) التحرير والتنوير، ج٢٨ص٧٦.

الكونية والشرعية التي أرادها الله سبحانه وتعالى في حياة البشر وغيرهم من المخلوقات، "وإن التفاوت الفاحش في توزيع الثروة واستئثار أقلية بخيرات المجتمع يتنافى والعدل بل يؤدي إلى الجور وتحكم الأغلبية واستبدادها، كما يولد الكراهية والحسد في نفوس الأكثرية الكادحة، ويخلق الطبقية والتحكم والصراع مما يقضي على الانسجام بين أفراد المجتمع على المستوى المحلي وبين الدول على المستوى العالمي فهو فساد وإفساد من جميع الأوجه ولكافة الأطراف أغنياء كانوا أو فقراء ومتقدمين كانوا أو متخلفين "[٩٤] .

ومما ينبغي تعليمه للأجيال ما يؤثر في التوازن الاقتصادي من الأموال التي تأتي بلا جهد ولامعاناة كالربا والاحتكار والميسر والقمار، يقول تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة٢٧٥.

(٩٤) الإسلام وعدالة التوزيع، ص٥٨ .

ومن تربى على هذه المعاملات المجحفة أوجد أضراراً نفسية واجتماعية واقتصادية بنفسه وبالآخرين، ولا يمارسها إلا أتباع الحضارات البعيدة عن شرع الله .

وينبغي توعية الأجيال بما يمارسه أعداؤها ضد مجتمعاتهم في مجال الاقتصاد، يقول ماجد الكيلاني : " وقد استغل الساسة والعسكريون وأصحاب المصالح المالية في الاحتكار والاستعمار، سلم الحاجات عند (ماسلو) لبلورة استراتيجيات وسياسات معينة هدفها الهيمنة والتحكم بمقدرات الشعوب والأمم الأخرى خارج أقطارهم ، ويعترف الكثير من خبراء السياسة والمختصين في التربية أن قوانين ماسلو في الحاجات تُطبق على كثير من شعوب العالم الثالث ... ومنه العالم العربي والإسلامي للتحكم من خلالها بمقدرات هذا العالم العقلية والنفسية والمادية، وإبقاء هذه الشعوب في دوامة العجز والفشل والإحباط بالقدر الذي تستدعيه السياسات المرسومة "[٩٥].

ولتحقيق التوازن أيضاً يجب على التربية الإسلامية تربية الأجيال على أداء الحقوق الواجبة في الأموال كالزكوات والصدقات والتبرعات ، وحثهم على إقراض الآخرين، قال

---

(٩٥) الأمة المسلمة.. مفهومها ، مقوماتها ، إخراجها ، ص١٤٥.

تعالى: {إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} (التغابن:١٧).ورغب أيضاً في إمهال المدين والمعسر إلى حال اليسار لقوله تعالى :{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:٢٨٠) .

٤ – تربية الأجيال على منافسة أجيال الدول المتفوقة في الإنتاجية

يعتبر مفهوم الإنتاجية من المفاهيم المعاصرة التي تميز الدول المتقدمة مادياً على غيرها من الدول. والإنتاجية تمثل مقدار ما ينتجه أفراد المجتمع في المجالات المختلفة، وتعتمد على مقدار ساعات العمل التي يقضيها الفرد في ميدان عمله منتجاً لا عاطلاً. ولذا ينبغي تربية الأجيال على الإكثار من ساعات العمل والإنتاج، ومنافسة الدول المتقدمة في زيادة الإنتاجية.

إن المنافسة من طبيعة المتربين الجادين، الأمر الذي يدفعهم إلى التفكير في مجالات المنافسة، بل وممارستها. ومن المجالات المتاحة للمنافسة ممارسة التجارة، وخوض غمار الأعمال التجارية المتنوعة، ومن ذلك تأمين وتصدير المواد التي تحتاجها الدول الإسلامية والدول الأخرى غير الإسلامية، وتحقيق الكسب التجاري المعزز للاقتصاد الإسلامي.

ومن الأمثلة للدلالة على هذه المنافسة المحمودة ما تفعله بعض الشركات المعاصرة، حيث تمكنت السيارات اليابانية من غزو الأسواق الأمريكية والأوربية، والتفوق بحسن صناعتها ودقتها على أنواع السيارات في تلك الدول .

***

رابعاً - البناء التربوي في الميادين العسكرية

لا يستغني أي مجتمع عن قوة عسكرية تحفظ مكتسباته، وتشيع الأمن والطمأنينة في ربوعه، وتدافع عن منشآته، والميادين العسكرية تعتبر جانباً مهماً من جوانب التفوق التي تحرص التربية الإسلامية على توعية الأجيال بها. وللجيوش العسكرية وظائف مهمة للمجتمعات في الغابر والحاضر .

والقوة العسكرية في المجتمع المسلم من وسائل إقامة علم الجهاد، الذي يرفع الظلم عن العباد، ويزيل العوامل المانعة من دخول الناس في دين الله أفواجا، قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} التحريم٩ ،ووردت هذه الآية مرةً أخرى في سورة التوبة، يقول السمعاني: " "قال أهل التفسير: معناه جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان" [٩٦].

وللقوة العسكرية صور ووسائل متعددة ذكرها الله في كتابه، منها ما هو معنوي كالأنفس ، ومنها ما هو مادي كالأموال، قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ

(٩٦) تفسير القرآن للسمعاني، ج٢ص٣٢٨.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} الأنفال٧٢. ومن صورها أيضاً القرآن الكريم ذاته، ومن وسائله الكتابة والمناظرة غير ذلك، قال تعالى: {وجاهدهم به جهاداً كبيرا} الفرقان ٥٢.

وتبرز توجيهات التربية الإسلامية في هذا المجال كالتالي :

١ - إعداد القوة العسكرية الملائمة للعصر وتنويع وسائلها

أشار القرآن إلى بعض عدة وآلات الحرب لتكوين القوة العسكرية، وهي ضروريةٌ للمجتمع المسلم، قال تعالى: {وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} النحل٨١، يقول القرطبي: "قال العلماء: في قوله تعالى(وسرابيل تقيكم بأسكم) دليل على اتخاذ العباد عدة الجهاد ليستعينوا بها على قتال الأعداء، وقد لبسها النبي ﷺ تقاة الجراحة، وإن كان يطلب الشهادة، وليس للعبد أن يطلبها بأن يستسلم للحتوف وللطعن بالسنان، للضرب بالسيوف، ولكنه يلبس لأمة حرب لتكون له قوة على

قتال عدوه، ويقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ويفعل الله بعد ما يشاء" [٩٧].

وتختلف القوة العسكرية من عصر إلى عصر، تبعاً لتطور الاختراعات والأجهزة والمواد.وقد حث القرآن على إعداد القوة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا وذلك في قوله تعالى : {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}(الأنفال: من الآية٦٠). إلا أن للقوة أنواع وأشكال، ولكن المقصود هو بذل الوسع في تهيئة هذه القوة كما ذُكر في الآية، يقول الفخر الرازي : " المراد بالقوة ههنا مايكون سبباً لحصول القوة وذكروا فيه وجوهاً: المراد بالقوة أنواع الأسلحة وقيل هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو، وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة" [٩٨].

إن إعداد أنواع الأسلحة المناسبة للعصر، واختراع أجهزة وآلات الحرب يتطلب معرفةً بأنواع التقنية وأسرار الصناعة، ويتطلب إلماماً بعلوم متعددة، ولكي تتفوق الأمة في القوة العسكرية ينبغي أن تجتهد للتفوق في نواحي الحياة الأخرى . يقول أكرم العمري: "إن السبيل إلى القوة العسكرية لن يكون

---

(٩٧) الجامع لأحكام القرآن ، ج٦ص١٦١.
(٩٨) التفسير الكبير للفخر الرازي ، ج١٥ص١٨٥ .

بتكديس الأسلحة المستوردة من الشرق والغرب بل بالحصول على أسرار التكنولوجيا العسكرية، وإقامة صناعة أسلحة متقدمة في العالم الإسلامي، وفي ظل أيديولوجية إسلامية تقدم الإطار الحضاري والحافز الروحي " [99].

ولا يمكن لأمة معاصرة تريد الحضارة والتفوق اليوم أن تكون أسلحتها السيف والخنجر والسهم والدرع،لأن هذه الوسائل لا أثر لها يذكر أمام الوسائل الحديثة، والحياة المعاصرة لها قوانينها ونظمها المتجددة. يقول محمد الألوسي: "وأنت تعلم أن الرمي بالنبال اليوم لا يصيب هدف القصد من العدو، لأنهم استعملوا الرمي بالبندق والمدافع ، ولا يكاد يقع معهما نبل" [100].

وتنويع وسائل القوة يكون باختراع الأجهزة وتوفيرها للجيوش المسلمة ، ويكون بإعداد الخطط والاستراتيجيات التي تجابه خطط الأعداء، وكل ما من شأنه إضفاء الهيبة والقوة على الكيان الإسلامي، ويكون رمياً مادياً أو معنوياً كما قال ﷺ: (ألا إن القوة الرمي) [101]، وقد تكون قوة الرمي بقطع المعونات

---

(٩٩) الإسلام والوعي الحضاري ، ص١١١ .

(١٠٠) روح المعاني للألوسي ،ج١ص٢٥٠ .

(١٠١) رواه مسلم في كتاب الأمارة باب ألا إن القوة الرمي.

الاقتصادية، أو منع وسائل الطاقة كالبترول إذا ما اقتضى الأمر. ولا شك أن استخدام مثل هذه الأسلحة المعنوية يؤثر على اقتصاديات الدول، ويعطل سير صناعاتهم وحركة المواصلات لديهم، وغير ذلك من الآثار في فروع الحياة المدنية المعاصرة .

وهذه الوسائل مما ينبغي تدريب الأجيال عليها في المعاهد والكليات العسكرية وغيرها، وإعدادهم تقنياً وفكرياً لتحقيق التفوق من خلالها. يذكر محمد الغزالي: " إن السيادة في الدنيا والرسوخ في علومها شرط لكسب الحياة والصدارة فيها ... ، والقتال في العصور الحديثة يتطلب تفوقاً في علوم البر والبحر والجو "[١٠٢].

وإذا تربت الأجيال على الاهتمام بهذا الميدان سعت لتحقيق أكبر قدر من الاكتفاء الذاتي في المجال العسكري خاصةً وغيره من المجالات عامة، وهذا الهدف من أهداف التربية الإسلامية الحيوية. إن القوة العسكرية للمجتمع ذات أثر بالغ في حياة أفراده، وهي تحقق : " أكبر قدر من الاكتفاء الذاتي في مجالات بناء القوة ، فتكون المصادر المختلفة لإنتاج القوة في أرضها ومن إعداد أبنائها وصنعهم ، لأن اعتماد الأمة الإسلامية في ذلك على غيرها ينطوي على مخاطر كثيرة،

---

(١٠٢) نحو حضارة إسلامية ، ص٤٢٧ .

ويضعها في نهب تقلبات المصالح والأهواء وموازين القوى العالمية، ولا يمكنها من الوفـاء بالمهمة الـتي كلفت بها ويجعـل التفـوق في يـد غيرها"[١٠٣]. كما أنه لايمكن شراء كل الأسلحة المتفوقة لأنهم لايبيعونها للمسلمين مهما دفعوا من الثمن .

٢ - تربية الأجيال على امتلاك القوة الرادعة لأعداء الله وحفظ هيبة الأمة والحضارة

تجتهد الدول على الحصول على الأسلحة المتنوعة لتعزيز قوتها العسكرية بما يتناسب مع الأوضاع المعاصرة، ولكن ليس المهم إعداد القوة الملائمة للعصر وحيازتها في المخازن والثكنات فقط، ولكن الأهم من ذلك هو إيجاد الشعور بوجود أهداف لوجود هذه القوة، والشعور بالقدرة على تفعيلها حين الحاجة إليها. وامتلاك القوة لا يقتصر على شراء أسلحة من الآخرين وتجميعها، بل الأهم من ذلك هو توفير الكوادر المسلمة المدربة القادرة على تشغيلها وقت الحاجة . وليس ذلك فحسب ، بل ينبغي إضافةً إلى ذلك تربية الأجيال نفسياً على مجابهة أعداء الله المحاربين للأمة في اقتصادها وثقافتها ومقدراتها، وتخويفهم من غزو أو احتلال أي بلد من

(١٠٣) العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ،ص١٠٨ .

بلدان العالم الإسلامي. ولا شك أن الاستعداد المادي والنفسي يولد رهبةً في صفوف الأعداء من الكفار وغيرهم كما قال تعالى: { تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ } (الأنفال: من الآية٦٠) .

وهذا الإرهاب محمود، وله فوائد كثيرة أشار إليها الفخر الرازي[١٠٤] بقوله : " وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم، وذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة :

- أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام .
- أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية.
- ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان .
- أنهم لا يعينون سائر الكفار .
- أن يصير ذلك سبباً لمزيد الزينة في دار الإسلام" .

وإن من واجب التربية الإسلامية تكوين روح الجهاد والكفاح في نفوس أبناء المجتمع للمحافظة على هيبة الأمة ومكتسباتها . يقول مقداد ياljن: " إن من الأهمية بمكان تكوين هذه الروح في الأمة – روح الجهاد والكفاح – من أجل

---

(١٠٤) التفسير الكبير، ج١٥ص١٨٦.

حماية الأمة ونشر الدعوة ...ومن غير هذه الروح تبقى الأمة على خطر دائم، وتكون مهددة من قبل الأعداء، ويعيش الناس فيها دائماً في خوف ورعب وقلق واضطراب، خوفاً من مداهمة العدو ومفاجأته بالعدوان الغاشم، فيفسد الحرث والنسل، ويخرب الديار " [١٠٥].

٣ - تنمية روح الجندية والانضباط والتعود على حب النظام والطاعة

فهذه الأخلاقيات من سمات المجتمع الحضاري ، والتعود عليها وتربية الأجيال على ممارستها يساهم في زيادة الإنتاج الاقتصادي والفكري للأمة ، ومخالفة هذه الأخلاقيات يحدث آثاراً وسلوكيات سلبية داخل صفوف المجتمع المسلم. وينبغي أن يكون لدى المتربين الاستعداد للاستجابة الفورية إذا ما دعا داعي خدمة المجتمع والأمة ، وأن لا تكون نفوسهم خانعةً مرتبطةً بالأرض وشهواتها ، قال تعالى: {انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ الله ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} التوبة٤١، فالآية تأمر بتلبية داعي الجهاد في جميع الأحوال والظروف، أي في المنشط والمكره، يقول

(١٠٥) دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات والغزو الحضاري ، ١١٥ .

السمعاني: "نشاطاً وغير نشاط، وقيل في اليسر والعسر، وقيل مشاغيل وغير مشاغيل" [106].

وفي الحث على المبادرة إلى الجهاد، يقول تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ الله ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ}التوبة٣٨ .

ومن ناحية أخرى فإن انضباط أفراد المجتمع ظاهرياً ينتج توحداً وتآلفاً بين القلوب وتكاتفاً في الأعمال والمشاريع ، وبعكس ذلك يكون التنافر والاختلاف والتفرق الذي حذر منه الرسول ﷺ بقوله : (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم) [107]. وقال أيضاً : (لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم) [108].

وليست الطاعة والانضباط خضوعاً وذلةً للغير، بل هي من الأمور اللازمة للتعاون وإنجاز الأعمال، وتأديتها على أكمل وجه وفي أقصر الأوقات، وما تقدمت الأمم وتفوقت المجتمعات إلا بسبب سيادة هذه الروح بين أبنائها .

(١٠٦) تفسير القرآن للسمعاني، ج٢ص٣١٢.

(١٠٧) رواه مسلم في كتاب الصلاة .

(١٠٨) رواه مسلم في كتاب الصلاة .

٤ – تربية أفراد الجيوش الإسلامية وقوادها على حمل هم الإسلام ونشره

فعندما يتربى منسوبو القطاعات العسكرية – سواءً كانوا مدنيين أو عسكريين - على الحرص على نشر الدعوة الإسلامية، نجدهم قمةً في التمسك بالأخلاق الإسلامية ومثلاً يُحتذى في المعاملات الإنسانية ، وحينها يدخل الناس في دين الله أفواجاً وربما بدون قتال، ويحقق الله على أيديهم انتشار الدين كما قال سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}الصف٩. وعندما يلتقي المسلمون بأعدائهم في البلدان المفتوحة أو عندما تكون هناك اتفاقيات دولية ، تظهر القيم الإسلامية العالية وتبرز أخلاقيات السلم والحرب وحقوق الإنسان من المنظور الإسلامي والتي يفتقدها أصحاب الحضارات المادية ، والتي تجعل الآخرين يُبهرون بهذه القيم وبأصحابها فيوافقوهم على مبادئهم ويذعنوا لحكمهم .

ومن مقومات حمل هم الإسلام، تربية أفراد القطاعات العسكرية خاصةً على بذل الأموال حمايةً للدين ونصرةً لرسوله ﷺ ، وتربيتهم كذلك على سخاوة النفس بالإنفاق والتحلي

بالكرم، والتبرع بالأموال خدمةً لقضايا المسلمين وتوفيراً لاحتياجاتهم في كل مكان.

٥ – استخدام الجيوش في أوقات السلم للتنمية والبناء والإصلاح

لا يقتصر دور الجيوش العسكرية على أوقات الحروب والمناوشات، بل إن هناك جوانب مادية أخرى يمكن أن تفيد منها العسكرية الإسلامية وتنفع بها المجتمعات المسلمة. وكثير من الخدمات المدنية كانت في أصلها مهيأة للجانب العسكري ثم حولت إلى الجوانب المادية ، ومن أمثلة ذلك أجهزة الحاسب الآلي، وعالم الإنترنت، ووسائل المواصلات السريعة وغيرها، والتي كانت في أول أمرها مخصصةً للجهات العسكرية.

كما أن الجيوش الإسلامية يمكن توظيفها وقت السلم لبناء المصانع العسكرية والمزارع، ومصانع المنسوجات وغيرها، والاستفادة من جهودهم في المناسبات المختلفة مما يفيد الجيوش نفسها لخدمة مصالحها وأغراضها، ويوفر أموالاً طائلة تدعم خزينة الدولة بصرفها في مجالات أخرى.

***

خامساً - البناء التربوي في الميادين التقنية

لقد تفوقت المجتمعات المعاصرة في استخدام التقنية والمخترعات الحديثة، وهذا الميدان من الميادين التي تخلف فيها المسلمون كثيراً وأصبحوا عالةً على الغرب واتسعت الفجوة بينهما، مع أن المسلمين في الأصل هم أهل العلم والمعرفة، ودينهم يحث على ذلك ، وكتاب ربهم أكد على العلم وأهله في مواطن كثيرة، قال تعالى: {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }آل عمران١٨. وقال أيضاً : {وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ }النمل٤٢.

ولذا لا بد من السعي الحثيث لسد تلك الفجوة، بل وجعلها في الاتجاه المعاكس، أي أن يتفوق المسلمون، ويكون لهم قصب السبق والريادة في هذه الميادين. وعلى المسئولين في إدارات التربية والتعليم ، وتخطيط المناهج أن يولوا عنايةً خاصة لرفع همم المتربين لطلب العلم والحصول على أسراره ومبهماته، وتوظيفها لاكتشاف القوانين الكونية ومن ثم خدمة المجتمع المسلم أولاً، و البشرية جمعاء .

ويسخر الله سبحانه تعالى هذه الاكتشافات والمخترعات لمن يحسن التفاعل مع السنن والقوانين التي أودعها الله في هذا الكون، وهذه القوانين متاحةٌ لكل البشر، مؤمنهم وكافرهم، حاضرهم وباديهم، والمؤمن أولى بأن يستفيد من هذه السنن، ويسخرها لمنفعته ومنفعة إخوانه في المجتمعات المسلمة.قال تعالى :{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ }آل عمران١٣٧، وقال أيضاً: {يُرِيدُ الله لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ} النساء٢٦، " أي أن أمر البشر في اجتماعهم، وما يعرض فيه من مصارعة للحق وللباطل، وما يلابس ذلك من الحرب والطعان والنزال ، والملك والسيادة يجري على طرق قويمة، وقواعد ثابتة، اقتضتها الحكمة والمصلحة العامة...، والمراد بذلك أن مشيئة الله في خلقه تسير على سنن حكيمة، من سار عليها ظفر، وإن كان ملحداً أو وثنياً، ومن تنكبها خسر وإن كان صديقاً أو نبياً، والمسلمون الصادقون أولى الناس بمعرفة تلك السنن في الأمم ، وأجدر أن يسيروا على هديها" [١٠٩].

---

(١٠٩) تفسير المراغي، ج٢ص٦٣.

وفي الميادين التقنية ينبغي أن يستفيد المربون من التوجيهات التالية :

١ - حسن الإفادة من الاختراعات والأجهزة الحديثة وعدم الاكتفاء بالنقل والامتلاك

إن المجتمع الذي يبغي النمو والترقي لا يكتفي المتربون فيه بالاستخدام السطحي لهذه الأجهزة والآلات، بل لابد من الإلمام بإمكانياتها ومعرفة وظائفها، ومن ثم تفعيلها لما فيه تطور المجتمع وتقدمه. وذلك لأن الاستخدام الأمثل لها يعتبر من علامات مواكبة التقدم الحضاري. ليس ذلك فحسب، بل يصاحب ذلك توجيه الأجيال لمعرفة مكونات هذه الأجهزة وكيفية صنعها وتجميع أجزائها . ولديهم من القدرة ما يمكنهم من تفكيكها وإعادتها كما كانت.

وهذا التوجيه له فوائد عديدة أقلها إزالة حاجز الرهبة النفسي الذي يسيطر على بعض النفوس أمام كل اختراع جديد، كما أن من فوائده حث الموهوبين والطلاب النابغين لخوض غمار هذا الميدان المهم، ومحاولة اختراع أشياء تنفع الأمة بدلاً من الاكتفاء بشراء الأجهزة من الدول الأجنبية وجلبها إلى بلدان المسلمين، ومن المعلوم في نظام تفوق المجتمعات أنه "بقدر ما يسود المجتمع من اتجاه إيجابي نحو

التقنية وشعور بأهمية التعامل مع مقتضياتها: استخداماً وإنتاجاً وتحكماً، يتحدد للمجتمع وضعه على طريق يربط بين امتلاك التقنية المجردة، وبين محاولة إفراز التقنية . فإن اقتصر دور المجتمع على مجرد الاقتناء للتقنية قبع في دور المستهلك لها، وضمرت فرص الإفادة الكاملة منها، وبالتالي تعذر المضي قدماً نحو مزيد من التقدم ، أما إذا سمح المجتمع لنفسه بأن يسهم في تخليق التقنيات الحديثة فإنه يكون قد دفع نفسه في اتجاه التقدم والتحديث" [١١٠].

وبهذه الاستعدادات والقدرات يضع المجتمع لنفسه لبنةً مثمرةً في مضمار التفوق والرقي، ويسهم بدوره في تحقيق مفهوم الاستخلاف الذي أشار إليه التوجيه القرآني في قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }البقرة٣٠.

٢ – تشجيع الأجيال على الاختراع والابتكار

إن المتأمل في آيات القرآن يجد إشارات واضحة إلى نعم الله التي أكرم عباده بها، والتي تحوي في مضمونها صناعات

---

(١١٠) الاتجاه نحو التقنية الحديثة ، ص٤ .

واختراعات طورها البشر بأنفسهم، واستفادوا من تلك السنن في تطويرها، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى : {وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ }النحل ٨٠.

ولا بد من تشجيع المتربين للاستفادة من هذه الإشارات لتطوير الموجود، واكتشاف الجديد، ولا بد من الانتقال من مرحلة التخطيط والدراسة النظرية إلى مرحلة التنفيذ الفعلي.

ومن الأمثلة على هذا التطوير ما أشارت إليه الآية السابقة مما جرى ويجرى من تعديل وتحسين للمساكن التي يقطنها البشر، يقول الإمام القرطبي: "(بيوتاً تستخفونها) يحتمل أن يعم بيوت الأدم وبيوت الشعر وبيوت الصوف،...، وقد كان للنبي ﷺ قبة من أدم، وناهيك من أدم الطائف غلاءً في القيمة،واعتلاءً في الصنعة، وحسناً في البشرة، ولم يعد ذلك ﷺ ترفاً ولا رآه سرفاً، لأنه مما امتن الله سبحانه من نعمته، وأذن فيه من متاعه، وظهرت وجوه منفعته في الاكتنان والاستظلال الذي لايقدر على الخروج عنه جنس الإنسان" [١١١].

---

(١١١) الجامع لأحكام القرآن، ج ٥ص١٥٣.

ومن صور التشجيع تهيئة البيئات التقنية، والأماكن المناسبة، ذات الإمكانيات المتطورة، والثرية بأنواع الأجهزة، والأدوات المعينة على تفتيق الجوانب الابتكارية والإبداعية لدى المهتمين من الأجيال . ومن تشجيعهم بذل المكافآت المادية والمجزية، وإعطائهم الميزات المعنوية كالقبول الفوري في الجامعات، وابتعاثهم إلى دورات متقدمة في مراكز البحث العالمية، وتهيئة جو البحث العلمي وآلياته لهم، ونشر أسمائهم وبراءات الاختراع التي حققوها عبر وسائل الإعلام وغير ذلك من الطرق .ليس ذلك فحسب بل تشجيع الأجيال على التفوق في الابتكارات والاختراعات لمنافسة أجيال الأمم الأخرى.

وهناك عوامل مهمة لإيجاد دافع الابتكار، منها ما يلي :

أ – تكوين الجمعيات الإبداعية في المدارس والجامعات.

ب – تنمية القدرات الإبداعية بوسائلها الخاصة .

ج – تكوين روح التضحية من أجل الإبداع والابتكار، ذلك أنه من غير بناء هذه الروح فلن تتحقق الإبداعات ولو بُنيت الجامعات ومراكز البحوث بالذهب والفضة .

٣ - الاهتمام بمدرسي العلوم الكونية والتطبيقية

تهتم المدرسة الحديثة بالعلوم العصرية التي تركز على استغلال موارد الطبيعة ، وتستثمر قوانينها المادية، والتي هي

ركاز مشاع لكل العاملين، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً }البقرة٢٩ . ومن صور التفاعل مع الطبيعة ومكنوناتها إبراز القوانين والقواعد الكونية المكتشفة في العصر الحديث ، وذلك من خلال تدريس مواد الرياضيات والكيمياء والأحياء والحاسوب وغيرها. وهذه المواد تقوم عليها الصناعات والاختراعات الحديثة التي تمثل جسم الحضارة. ومن نافلة القول أن يؤكد المهتمون على وضع الحوافز المادية والمعنوية، وتوفير المعدات والمعامل التي تحسن من أدائهم العلمي والعملي، وإيجاد الفرص العملية لتطوير مستواهم التعليمي وتوجيههم للإبداع .

ومن المناسب تشجيع ورش العمل المقامة بين المدرسين وطلابهم، أو بين الأكاديميين في الجامعات والنابغين من الطلاب لاستغلال قدراتهم واستثمار أوقاتهم وتنمية ملكاتهم العلمية والفنية .

ومن صور تأكيد هذا الاهتمام القيام بزيارات ميدانية لهؤلاء المدرسين مع طلابهم، يرون من خلالها المصانع والمنشآت التقنية التي تقوم على هذه العلوم .

***

سادساً - البناء التربوي في الميادين الصحية و الطبية

إن المجتمع السليم ينمو في ظل الأجواء الصحية التي تحمي أفراده – بإذن الله – من جميع الأمراض العضوية وغير العضوية، والمجتمع المسلم يحظى بذلك حين يتعلق بالله فيشفى من الأمراض، قال تعالى: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}الشعراء٨٠ . ومن صفات هذا المجتمع أن دستوره القرآن فيه نوع من الشفاء، قال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً} الإسراء٨٢ .

وكلمة الشفاء في الآية جاءت نكرة ، وهي بذلك تحمل في معناها العموم، أي الشفاء المادي والمعنوي، و"اختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على القولين:

الأول: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها، وذهاب الريب، وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه.

الثـاني: أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك، ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين من باب عموم المجاز، أومن باب حمل المشترك على معنييه" [١١٢] .

---

(١١٢) فتح القدير للشوكاني، ج٣ص٣٥٠.

والقرآن الكريم شفاؤه مادي ومعنوي، وهو من أعظم أنواع الشفاء التي يحتاجها البشر على مر الأزمان والعصور، يقول ابن كثير عن القرآن: " إنه شفاء ورحمة للمؤمنين،أي: يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق ، وشرك، وزيغ، وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة، وطلب الخير والرغبة فيه،وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيد سماعه القرآن إلا بعداً وكفراً، والآفة من الكافر لا من القرآن" [113].

والقرآن وصفه ربه بأنه هدى وشفاء للمؤمنين، قال تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} فصلت٤٤ . ويؤكد ابن سعدي على هذا المعني بقوله: "(هدى وشفاء) أي يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية والأسقام القلبية، لأنه

(١١٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ،ص٧٨٢.

يزجر عن مساوىء الأخلاق وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح التي تغسل الذنوب، وتشفي القلب" [114].

أما توجيهات التربية الإسلامية في هذا الميدان فهي كما يلي:

١ - الأمر بالتداوي والأخذ بأسباب الصحة وتعلم طرق العلاج وأنواع التطبيب

فمن أهم الأمور التي تسعى إليها الأمم والمجتمعات هي المحافظة على صحة أبنائها وعافيتهم ونشاطهم، لأن الأفراد المرضى لا يستطيعون المساهمة في بناء المجتمع، وتفعيل برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

وفي القرآن الكريم إشارةٌ إلى الأخذ بأسباب الشفاء من الأوجاع والأمراض الجسمية، وذلك باستخدام العسل، وهذا العلاج ليس خاصاً بالمسلمين بل هو عام لكل الناس،قال تعالى: {ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }النحل٦٩

وقد جاء الحث على تعلم الطب ضمنياً في قوله ﷺ : (ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من

(١١٤) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٥١.

جهله)[115]. تقول لولوة العلي: "الصحة نعمة من أكبر نعم الله على خلقه، بفقدها يتكدر صفو الحياة، وتتعطل المصالح، وبها تشاد معالم الدنيا، وتزدهر الحضارات ، والكل يعرف أهمية الصحة في عمارة الكون الذي لا تقوم له قائمة على أكتاف عليلة، يئن أصحابها تحت وطأة المرض، وتفتك بهم سمومه" [116].

ولما تخلفت الأمة وابتعدت عن التوجيهات والأخذ بأسباب التقدم في المجال الصحي خاصةً، لجأت إلى تصرفات مخالفة للسلوك الحضاري السليم، وتمسكت بالخرافات والبدع لعلاج الأمراض ودفع الآلام ، واستخدمت التمائم والتعاويذ للاستشفاء بها من الأدواء والاحتراز بها من العلل، وطلب الذرية والولد . يقول علي الزهراني : " لم يحفل الناس في القرون المتأخرة بشؤون الصحة وعلاج الأمراض كما كان ينبغي، ومع توالي القرون وعزوف المسلمين عن الطب لا يتعلمونه ولا يعملون به لجأ الناس إلى الأضرحة يستشفون بأصحابها، ويطلبون معافاة المرضى منهم وعلاج ذوي العاهات فيهم، فبانوا عن الطب الذي يقوم على اتخاذ الأسباب

(115) رواه ابن ماجة في كتاب الطب ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم 451 .
(116) الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة ، ص27 .

بوناً شاسعاً، وأغلوا في الانحدار في هاوية الجهل والخرافة والدجل "[117].

وتسعى التربية الإسلامية إلى إعطاء هذا الميدان حقه من العناية والتشجيع وإبراز مكانة العاملين في هذا الميدان ودورهم في خدمة المجتمعات والأمم .

٢ - الاستفادة من التوجيهات الصحية في القرآن والسنة لدعم الأبحاث الطبية

يعيش العالم المتحضر اليوم في ثورة علمية طبية عالية، وتخصص الأمم المتحضرة الميزانيات الضخمة لهذا المجال. وقد حفلت النصوص الإسلامية المبثوثة في الكتاب والسنة بالكثير من التوجيهات والمعلومات التي تشير إلى مفاهيم صحية، وأدوية علاجية ووقائية ربما لم يتوصل إليها الطب الحديث. ودور التربية الإسلامية هو توجيه الأجيال لإبراز تلك النصوص بعد التأكد من صحتها، وإجراء البحوث والدراسات في ضوء تلك النصوص واستخراج الأدوية والعقاقير والنصائح الطبية التي تفيد البشرية. فكم يوجد من الإشارات الضمنية والدلالات الصريحة في الطب الإسلامي

---

(١١٧) الانحرافات العقدية والعلمية، ص٣٣٤ .

لأدوية فعالة في الحبة السوداء والتمر، والفواكه، والخضروات، وكذلك في أبوال الإبل وألبانها وغير ذلك كثير.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد ذكره في القرآن بشأن عسل النحل في قوله تعالى : { فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ}النحل٦٩ ، يقول ابن كثير : "(فيه شفاء للناس) أي في العسل شفاء للناس، أي من أدواء تعرض لهم، قال بعض من تكلم على الطب النبوي: لو قال فيه الشفاء للناس، لكان دواءً لكل داء، ولكن قال فيه شفاء للناس، أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة، فإنه حار، والشيء يداوى بضده" [118].

فلو تأملنا قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً} (يوسف: من الآية٩٣)، لتساءلنا عن العلاقة بين مادة ذلك القميص وعلاج العمى، أو ربما العلاقة بين رائحة الجسم الذي لبس القميص أو العرق الملتصق به . ولنا أن نتساءل ما الفوائد الطبية المستنبطة من الأحاديث النبوية التالية : (إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو

(١١٨) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، ص٧٣٥.

لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي)[119]، وقوله ﷺ (غطوا الإناء و أوكوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء) رواه مسلم في كتاب الأشربة، وقوله ﷺ: (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في إحدى جناحيه شفاء وفي الآخر داء)[120].

والأمثلة في ذلك كثيرة ولا حصر لها ، يقول حسني الرودي (١٤١٦) : " وقد كان لأحاديث المصطفى ﷺ دور هام في تهيئة المناخ المناسب للطب الإسلامي كما أنها بلورت العادات الغذائية السليمة وقواعد الصحة العامة التي اتبعتها الأجيال المسلمة المتعاقبة عبر العصور"[121].

ولا شك أن هذه الاكتشافات التي تدعم الميدان الصحي تعتبر إضافات مشكورة تحسب في رصيد الحضارة الإسلامية ، وينبغي حث المتعلمين وخاصةً في المجال الصحي أن يبادروا لإظهارها للعالم وإبراز مكانة التراث الإسلامي وفضله وأثره

---

(١١٩) رواه البخاري في كتاب الطب .

(١٢٠) رواه البخاري في كتاب الطب .

(١٢١) إعداد الطبيب للرعاية الصحية الشاملة، ص١٠ .

في التقدم والحضارة . ومن المواضيع التي يمكن إيرادها في هذا الميدان مايلي :

- تكوين الوعي بأهمية نظافة الأبدان والملابس والأماكن والبيئة عموماً ،والآثار المترتبة على التمسك بسنن الفطرة كالسواك والختان وتقليم الأظافر .
- بيان أهمية مكافحة الحشرات والحيوانات الضارة كالعقرب والفأرة والذباب ، وعدم تربية الحيوانات كالكلاب إلا عند الضرورة .
- بيان أضرارالاتصالات الجنسية المحرمة كالزنا واللواط على الفرد والمجتمع والحضارة .
- بيان أضرار الأشربة والأطعمة المحرمة كالمخدرات والخمور على الفرد والمجتمع والحضارة .
- إبراز الفوائد الطبية المستخرجة من بعض الأطعمة والأشربة كالعسل والحبة السوداء وغيرها .
- بيان علاقة الأمراض الجسمية بالحالة النفسية وارتباطهما بالجزع وعدم الرضا والإيمان بالله .
- بيان علاقة الأمراض النفسية بالتفكير السديد والعقيدة الصحيحة .

- بيان أهمية الوقاية لأن العناية بها أولى من طلب العلاج بعد حصول الضرر.

وينبغي تنبيه المتعلمين إلى أن النصوص القرآنية والنبوية ذات العلاقة بالطب هي أولاً تبين إعجازها ودلالتها على عظمة الخالق العليم الخبير سبحانه، وقد تُذكر لعلاقتها بالعبادات، أو لاتصالها بحياة الناس ، وهي ثانياً قد تتفق مع بعض الاكتشافات الحديثة مما يزيد المؤمنين إيماناً .

٣ - مراعاة استخدام الطرق الصحية في الملبس والمسكن والحياة عموماً.

ومن ذلك الحث على نظافة الملابس والثياب، وتنقيتها من الأوساخ والقاذورات، وهناك علاقةٌ قويةٌ بين النظافة الحسية والنظافة المعنوية، وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى : {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} (المدثر:٤)، يقول المراغي: "يرى جمع من الأئمة أن المراد بطهارة الثياب غسلها بالماء إن كانت نجسة...، وقد استبان للمشتغلين بأصول التشريع وعلماء الاجتماع من الأوروبيين أن أكثر الناس قذراً في أجسامهم وثيابهم، أكثرهم ذنوباً، وأطهرهم أبداناً وثياباً أبعدهم من الذنوب. ومن ثم أمروا المسجونين بكثرة الاستحمام ونظافة الثياب ، فحسنت

أخلاقهم، وخرجوا من السجون وهم أقرب إلى الأخلاق الفاضلة منهم إلى الرذائل...، وفي كتاب أصول التشريع: إن كثرة الطهارة في دين الإسلام مما يدعو معتنقيه إلى رقي الأخلاق والفضيلةإذا قاموا باتباع أوامره خير قيام" [١٢٢].

وكذلك ورد الحث على نظافة المجتمعات والمنازل والأمكنة لقوله ﷺ : (إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود) [١٢٣].

والعبادات الإسلامية في ذاتها أدوية صحية علاجية ووقائية. ويتعاطى المسلم هذه الأدوية من خلال الوضوء والصلاة والصيام والحج والغسل والسواك، ومن خلال ترك المحرمات، وتجنب الخبائث والزنا والشذوذ . وفي الالتزام بكل ذلك منافع جمة للنفس والروح والبدن. ولذلك فإن تربية الأجيال على الالتزام والمحافظة على التعاليم الربانية يحسِّن المستوى الصحي للمجتمع، الأمر الذي تسعى إليه الحضارة الحديثة.

---

(١٢٢) تفسير المراغي، ج١٠ص٢٤٧.

(١٢٣) رواه الترمذي في كتاب الأدب .

٤ - التربية على المسئولية الأخلاقية في مهنة الطب

فللطبيب المسلم آداب يلتزم بها في التعامل مع مرضاه، منها الصدق والأمانة في الفحص و التشخيص، وصرف العلاج المناسب، والوفاء بالمواعيد، وحسن النصح للمرضى، وحفظ العورات، وعدم الخلوة. والإنسان أياً كان موقعه في المجتمع مسؤول عن أفعاله ، قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} المدثر٣٨. والمعنى " أي مأخوذةٌ بعملها، مرتهنةٌ به، إما خلصها أو أوبقها، والمعنى كل نفس رهينةٌ بكسبها غير مفكوكة، كافرةً كانت أو مؤمنة، عاصيةً أو غير عاصية" [١٢٤].

كما أنه يجتنب الأمور المحرمة في العلاج و التمريض و إجراء العمليات الجراحية المحرمة التي انتشرت في بعض المجتمعات البعيدة عن شرع الله . فيجتنب الأدوية والعقاقير التي حرمها الله، ولا يباشر جراحة التجميل التحسينية أو جراحة تغيير الجنس أو التمثيل بالجسم. وقد أشار أحد المختصين إلى هذه الممارسات الطبية بقوله : "هذا النوع من الجراحة الطبية لم تتوفر فيه الدواعي المعتبرة شرعاً للترخيص بفعله، وتعتبر مقاصده من جنس المقاصد المحرمة شرعاً

(١٢٤) فتح البيان، ج١٤ص٤١٩.

كالعبث بالخلقة وتغييرها، طلباً للجمال والحسن كما هو الحال في جراحة التجميل التحسينية، وكتغيير الأعضاء التناسلية عند الرجل والمرأة، كما هو الحال في جراحة تغيير الجنس، وكاستئصال الأعضاء وأجزائها على وجه الوقاية الموهومة ... فهذه الأنواع من الجراحة دلت نصوص الشرع على حرمتها، وكذلك شهدت قواعده بعدم جوازها " [١٢٥]. ويدخل في ذلك أيضاً إجراء عمليات الإجهاض، لأنه قتل لنفس منفوسة، وهو جريمة في حكم الإسلام .

كما ينبغي التأكيد لدى المتربين وخاصةً في المجال الطبي على المسؤولية المهنية من حيث موجباتها والآثار المترتبة على ثبوت الواجبات. يقول محمد الشنقيطي (١٤١٨) : "المراد بموجبات المسؤولية المهنية الأسباب التي تترتب عليها مساءلة الطبيب ومساعديه من جهة المهمات التي قاموا بها ، وهذه الموجبات منها ما هو ناشيء على وجه الخطأ ومنها ما هو ناشيء على وجه الإهمال والتقصير وعدم الالتزام بالحدود التي ينبغي التزامها في المهمات المتعلقة بالمهنة ، ومنها ما هو

(١٢٥) أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها ، ص١٩٠.

ناشىء عن الجهل بالمهنة ومنها ما هو ناشىء عن الإضرار وقصد الإيذاء "[126].

وعلى الطبيب المسلم استشعار هذه المسؤولية لكي يراعي الدقة والإتقان في عمله، فيسلم من الخطأ في عمله والذي قد يودي بحياة إنسان يكون خصمه يوم القيامة.

٥ – وجوب تكوين روح التضحية والمنافسة لتحقيق التقدم الطبي

ولأن المنافسة اليوم على أشدها في صناعة الدواء، والأجهزة الطبية، والمستلزمات العلاجية، فإن الواجب دفع الأجيال للمنافسة، وتحقيق أعلى مستويات التطور في هذا المجال . ومما يعزز هذه الروح معرفة أن التقدم في الصيدلة والطب له مردود اقتصادي كبير ، وكثير من أموال المسلمين تهدر بعلاج مرضاهم في البلاد الأجنبية، أو جلب الأطباء النصارى والبوذيين وغيرهم إلى مستشفيات المسلمين . بينما لو تقدم المسلمون في هذا المجال لرأينا المستشفيات غاصةً بالأطباء المسلمين، وامتلأت الصيدليات بالأدوية والأجهزة المصنعة في البلاد الإسلامية .

(١٢٦) أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، ص ٤٧١ .

كما أن التقدم الطبي للمسلمين فيه خدمة للرسالة الإسلامية وتضييق فرص دعاة النصرانية والملاحدة من أطباء وممرضات، الذين يأتون للتأثير على العقائد بطرق مباشرة أو غير مباشرة. ولا يخفى على ذي لب أن أعداء الإسلام ما زالوا يبذلون الخطط والمؤامرات لصرف المسلمين عن دينهم، أو على الأقل تشكيكهم في مبادئهم، قال تعالى: {وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة٢١٧.

وقال أيضا: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة١٠٩، يقول محمد رشيد رضا: "بيان لما يضمرونه وما تكنه صدورهم للمسلمين من الحسد على نعمة الإسلام التي عرفوا أنها الحق، وأن وراءها السعادة في الدارين، ولكنهم شق عليهم أن يتبعوهم فتمنوا أن يُحرموا هذه النعمة ويرجعوا كفاراً كما كانوا، وذلك شأن الحاسد يتمنى أن يُسلب محسوده النعمة ولولم تكن ضارة به، فكيف إذا كان يعلم أن تلك النعمة

إذا تمت وثبتت يكون من أثرها سيادة المحسود عليه، وإدخاله تحت سلطانه، كما كان يتوقع علماء يهود في عصر التنزيل" [١٢٧].

٦ - بيان شمولية الإسلام في علاج الروح والبدن والحاجة للتثقيف الصحي

تتنوع الأمراض، فبعضها ذات أسباب عضوية، وبعضها ذات أسباب نفسية وليست فسيولوجية، وعلاجها لايكون بالعقاقير الطبية وإنما بإزالة أسبابها، وتفعيل التغذية الروحية، وقد جاء الإسلام بالعلاج الشامل لأمراض الروح وهذا الأمر مما تفتقده المجتمعات الأخرى ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} يونس٥٧.

ومن المظاهر السلبية في المجتمعات الغربية كثرة الأمراض النفسية، وبالتالي كثرة المستشفيات والمستوصفات التي تعالج هذه الأمراض ، والسبب هو غياب الحياة الروحية التي يتمتع بها الذين يعيشون بصدق في رحاب الإيمان، وهذا الأمر يدفع الأجيال لمعرفة الجوانب الصحية للروح والبدن، وعلاقتها بالسعادة في الدارين .

---

(١٢٧) تفسير المنار، ج١ص٤٢٠.

٧- تكوين الوعي بأساليب الغزو الصحي

أمر القرآن بأخذ الحيطة الحذر من أعداء الإسلام، والتبصر بأساليبهم في المكر بالمسلمين، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ} النساء٧١. ومن أمثلة الغزو الصحي ما انتشر في أسواق المسلمين بعض المأكولات والمشروبات المستوردة، وحلويات الأطفال التي يُجهل تركيبها، أو تحوي ما يُسمى بالخلطة السرية، وينبغي أن تخضع مثل هذه الأغذية للفحص الطبي ليُعرف مدى مناسبتها للجسم، ومدى سلامتها من المضاعفات المرضية والأضرار الصحية. وينبغي أن يتربى الأجيال على تجنب الأغذية الفاسدة والمغشوشة، أوالمعالجة بمواد ملونة تُفقدها قيمتها الغذائية، أو يُضاف إليها مواد محرمة كلحوم الخنزير وغيرها. ويدخل في الغزو الصحي أيضاً تلك الأدوية والعقاقير التي تُصنع وتُباع في الأماكن غير المرخصة أوغير الخاضعة لرقابة الجهات المسؤولة .

ومن أضرار الغزو الصحي التأثير على سلامة الجسم ونشر الأمراض الموبوءة في المجتمعات، وقد تحوي تلك الأغذية والعقاقير المستوردة مواداً تُستخدم للحيلولة دون تكاثر المسلمين .

***

سابعاً – البناء التربوي في الميادين العمرانية

يعتبر العمران من مقومات الحياة المدنية التي تهتم بها المجتمعات، والمتأمل في القرآن الكريم يجد أمثلةً كثيرةً لأعمال عمرانية ومنشآت مختلفة برزت فيها الجهود البشرية التي ساهمت في بناء المجتمعات، ومن ذلك بناء الكعبة المشرفة كما قال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (البقرة:١٢٧).

ولطبيعة هذا الميدان الذي يوغل بصاحبه في الانشغال بالدنيا ،ينبغي ألا يكون العمران صارفاً عن ذكر الله، وقد ألقى القرآن باللوم على أقوام اغتروا بما عندهم من التطور العمراني، فعاثوا في الأرض خراباً وإفساداً، قال تعالى: {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ. وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ. وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ. الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } الفجر٧-١٤ "وقوله تعالى (ذات العماد) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة " [١٢٨].

وأهم التوجيهات التربوية في هذا المجال ما يلي :

(١٢٨) التحرير والتنوير، ج٨ص١٧٠ .

١ – تحقيق التقدم في البناء العمراني المفيد بجميع أشكاله

هناك منشآت ذكرت في القرآن تمتاز بالمهارة والجمال والإتقان،وتبين القدرة البشرية الهندسية في أنواع العمران، منها السدود التحصينية، ومصانع الحجر، والسدود المائية الزراعية، وهناك بيوت صخرية كبيوت قبيلة ثمود، وبيوت أخرى للسكن وغيرها، ومن ذلك قوله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (الأعراف:٧٤)، وقوله تعالى : {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ} (الشعراء:١٤٩) . "والبيوت: جمع بيت، وهو المكان المحدد المتخذ للسكنى سواء كان مبنياً من حجر، أم كان من أثواب ستر أو صوف، وفعل النحت يتعلق بالجبال، لأن النحت يتعلق بحجارة الجبال..، ومحل الامتنان أن جعل منازلهم قسمين: قسم صالح للبناء فيه، وقسم صالح لنحت البيوت، وقيل كانوا يسكنون في الصيف القصور، وفي الشتاء البيوت المنحوتة في الجبال" [١٢٩]. وهذه الإشارات تربي الأجيال على بلوغ درجات الإتقان في تصميم المباني والمنشآت،

---

(١٢٩) التحرير والتنوير، ج٨ص١٧٠ .

بحيث تحقق متطلبات التنمية في مجالاتها المختلفة، وتولد الشعور بالرقي والتقدم لدى أفراد المجتمع .

وهناك آيات كثيرة مليئةٌ بالصور العمرانية التي تبين جانباً من حضارات الأمم السابقة، وتعرض أيضاً لاستخداماتها في الحياة، "والقرآن الذي يجمل بعضها ويفصل الأخرى، ويحمد قسماً ويذم قسماً، فإنه لا يغفل أن يشيد بالاستخدامات والأغراض الإنسانية النافعة، وينعى على تلك المنشآت وصناعتها، وعلى أهلها والقائمين بها حين تستخدم للبطش والجبروت والجحود، أو يقصد منها التفسخ الخلقي والشذوذات السلوكية حتى كانت شؤماً وخسراناً، ومن ثم عبرةً وعظةً للأجيال فيما بعد ... والعمران الإسلامي كما يلاحظ في القرآن الكريم يتطلب ضبطاً للخدمات، وتلاحماً في المقاصد المادية والروحية والمعنوية معاً " [130].

وعلى المسؤولين عن تربية الأجيال أن يؤكدوا على المجالات النافعة التي يحتاج إليها المجتمع، وتساهم في تطور عمرانه ومنشآته، وأن تكون ذات مقاصد حميدة وأهداف جليلة .

---

(١٣٠) العمل وتطبيقاته ،ص١٤١ .

ومن الصور العمرانية التي أشار إليها القرآن الكريم: سد ذي القرنين العظيم، الذي وصف القرآن إنشاءه بالقوة والصلابة، وتمثلت فيه الإمكانيات الجبارة التي أوتيها ذو القرنين الذي كان المشرف العام على هذا السد، ولذلك عجزت البشرية في ذلك العصر أن تؤثر فيه، فوصفه القرآن بأنه {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً} (الكهف:٩٧). فهذا السد كان من العلو أن أولئك القوم لم يتمكنوا من الصعود إلى أعلاه أو القفز من فوقه، ولدقة تصميمه لم يستطيعوا أن يحدثوا فيه فساداً أو خرقا. يقول عبدالرحمن بن سعدي: "أي فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته" [١٣١].

وعن العمليات الإنشائية والبنائية في هذا السد يقول نذير حمدان: " إنها عمليات صناعية متسلسلة منشأة وفق علم وهندسة متقدمة، رصدت له آلاف العمال الذين بقوا عشر سنوات يعملون فيه، مستفيدين من المناجم والحيوانات والغابات ...حتى أنجزوا سداً حديدياً نحاسياً رهيباً " [١٣٢].

---

(١٣١) تيسير الكريم المنان، ص٤٨٦ .

(١٣٢) المرجع السابق ، ص١٤١ .

وهذا النموذج القرآني يحث المتربين على الإتقان في أداء المشاريع العمرانية، والحرص على بلوغها أعلى درجات الجودة. وهنا يكون دور التربية الإسلامية في هذا الميدان هو استعراض تلك النماذج العمرانية أمام المتربين وذكر الاستخدامات الحسنة والضارة لها، كي تعمل فكرها لاكتشاف أسرارها، وتوظيفها لخدمة المجتمع، أو استنباط مشاريع عصرية مقتبسة من تلك النماذج، أو الإتيان بأفكار عمرانية جديدة .

٢ – التوجيه إلى ربط العمران بالقيم والأخلاق الإسلامية

وذلك بتربية المتعلمين على الاعتزاز بالفن المعماري في الحضارة الإسلامية والذي ينطلق من منطلقات قيمية وأخلاقية ، مما يجعلهم غير مقلدين لتراث الحضارات الأخرى إلا ما يقع في دائرة الحكمة التي يحسن الاستفادة منها .

ومن مظاهر تربية الناشئة في هذا الميدان حسن اختيار الحي المناسب الذي يمتاز بوجود المسجد الذي تؤدى فيه الصلوات، ويزيد من التقارب والتآلف بين أفراد الحي. وقد جاء الترغيب في بناء المساجد وعمارتها مادياً ومعنوياً في كثير من النصوص الثابتة . يقول تعالى:{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ

آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَّ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}(التوبة:١٨).يقول عبدالرحمن بن الجوزي: " في المراد بالعمارة قولان : أحدهما دخوله والجلوس فيه،والثاني البناء له وإصلاحه "[١٣٣]. فتعمير المساجد يشمل البناء المادي والصيانة لمرافقها كما يشمل التعبد وممارسة الشعائر فيها . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تُنظف وأن تُطيب)[١٣٤].

وجاء الترغيب في بناء المساجد والمساكن الخيرية لأنها تمثل رمزاً من رموز الحضارة الإسلامية الخيرة، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :(من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله بيتاً في الجنة)[١٣٥]. وقال ﷺ : (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته

(١٣٣) زاد المسير في علم التفسير، ج٣ ص٤٠٨ .

(١٣٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (ج١ص١١٣) .

(١٣٥) رواه البخاري في كتاب الصلاة(ج١ ،ص٨١).

وحياته تلحقه من بعد موته)[136]. وإن من مميزات المسكن كثرة غرفه واتساع مساحته ، قال ﷺ : (ثلاث من السعادة ... ، والدار تكون واسعةً كثيرة المرافق)[137].

ومن ناحية أخرى فإن المجتمع المسلم ينبغي أن تكون بيوته ذات مواصفات معينة تتلاءم مع القيم والمبادىء الحضارية الإسلامية ، يقول يحي باقاسي (١٤٠٩) : " فالبيت في العمارة الإسلامية صيانة للآداب والأخلاق وللأعراض بقدر ما هو في الجاهلية استعراض وكشف لكل ما ينبغي أن يصان . في البيت الإسلامي لا يطلع الزائر على ربة البيت لأنها (حرم) مصون ، من أجل ذلك يخصص له مكان في البيت يُستقبل فيه ويُرحب به وتُقدم (التحية) الواجبة .... ومن بديهيات ذلك البيت أن تكون غرف النوم في أعماقه لا في ظاهره لأنها الأماكن التي يضع فيها الناس ثيابهم ..."[138].

والتربية الإسلامية في هذا الميدان لا تهتم ببناء البيت الذي يؤوي الإنسان ومن يعول فقط ، بل تحرص على أن يكون محققاً للمواصفات الحضارية الإسلامية .

---

(١٣٦) رواه ابن ماجة في كتاب السنة ، وإسناده حسن .
(١٣٧) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٠٤٧.
(١٣٨) الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية ، ص٢١١ .

٣- تكوين المقدرات الإبداعية في العمران

إن على مسؤولي التربية في المجتمع المسلم تنمية المواهب العمرانية، وذلك بتوجيه المهتمين إلى فن العمارة والديكورات لإبراز الذوق المعماري الإسلامي في المباني والمنشآت الكبيرة والصغيرة، واتخاذ الميدان العمراني وسيلةً للتنمية الاقتصادية والكسب المادي، ومراعاة الجوانب الشرعية في العمران. وبهذا التوجيه يضمن المجتمع سلامته من المخالفات والمنكرات، ويحافظ على عدم ظهور الأمور المحرمة في منشآته ومنتدياته مثل صور الصلبان وذوات الأرواح .

ومن الجوانب الإبداعية مشاريع الهندسة المعمارية حيث تتربى الأجيال على إنتاج التصاميم المختلفة والتي تلبي رغبات المستفيدين والمستثمرين في ضوء القيم الإسلامية .

٤ - مراعاة النزاهة والأمانة في البناء والتعمير

لقد أمر المولى سبحانه في كتابه الكريم بالإحسان فقال تعالى: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}البقرة١٩٥. والمقصود بهذه الآية " الأمر بالإحسان على عمومه، أي أحسنوا كل أعمالكم وأتقنوها، فلا تهملوا إتقان شيء منها" [١٣٩].

(١٣٩) تفسير المنار ، ج٢ص٢١٤ .

وهذه الآية تشير إلى الإحسان في كل شيء مباح أو مفروض، والإحسان في ميدان العمران يكون بمراعاة متطلبات السلامة، والدقة في الإنشاء والتعمير، والابتعاد عن الغش والمماطلة في التعامل مع المستفيدين . والمعماري المسلم يهتم بالمواصفات والمقاييس التي تعدها البلديات والجهات المسؤولة عن المشاريع والإسكانات، وذلك لأنها ما أُعدت وألزم بها المقاولون إلا من أجل سلامة تلك المنشآت أولاً، وللمحافظة على أرواح الشعب ثانياً . ومن خالف ذلك فقد ارتكب نوعاً من أنواع الخيانة التي أؤتمن عليها الإنسان ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } الأنفال٢٧.

يقول الألوسي: " أصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء الإتمام، واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه، فإن الخائن ينقص المخون شيئاً مما خانه فيه" [١٤٠].

***

(١٤٠) روح المعاني ، ج٥ص١٩٥ .

الفصل الرابع
الميادين التشريعية و التنظيمية
في المجتمع المسلم

تمهيد

أولاً – البناء التربوي في الميادين التشريعية

ثانياً – البناء التربوي في الميادين الإدارية

ثالثاً - البناء التربوي في الميادين الاجتماعية

تمهيد :

لكل مجتمع مؤسساته المختلفة، ويؤدي كل منها دوره في تنمية المجتمع، وتزويد أفراده بما يعينهم في أمورهم المعيشية، وتحسين ظروفهم البيئية كي يعيشوا في أمن واطمئنان.

والالتزام بالأنظمة الربانية يساهم في تسيير سفينة المجتمع نحو جلب المنافع وتحقيق النمو والازدهار، وبلوغ مصالحه العاجلة والآجلة. فللمجتمع الإسلامي منهجه الذي يسير عليه، وله أنظمته التي لا تخرج عن إطار المنهج، قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} الجاثية١٨، ومعنى الآية "أي شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير، وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي (فاتبعها) فإن في اتباعها السعادة الأبدية، والصلاح والفلاح" [١٤١].

وقال تعالى : {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام١٠٦ ، يقول ابن كثير رحمه الله: "(اتبع ما أوحي إليك من ربك) أي اقتد به واقتف أثره، واعمل به، فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مرية

(١٤١) تيسير الكريم المنان لابن سعدي، ص٧٧٧.

فيه،لأنه لا إله إلا هو (وأعرض عن المشركين) أي اعف عنهم واصفح واحتمل أذاهم، حتى يفتح الله لك، وينصرك ويظفرك عليهم" [142].

ويعتبر المسجد من أهم المؤسسات في المجتمع المسلم ، وكانت له مكانة عظيمة في صدر الإسلام، وكان منطلقاً للكثير من العمليات التنظيمية والتشريعية للمسلمين الأوائل. قال تعالى: {لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} التوبة١٠٨.

وقال تعالى : {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} الأعراف٢٩، " إقامة الوجوه تمثيل لكمال الإقبال على عبادة الله تعالى في مواضع عبادته...، والأمر بإقامة الوجوه عند المساجد كلها أمر بالتزام التوحيد وكمال الحال في شعائر الحج كلها" وغيرها من الشعائر والعبادات، والترتيبات والتنظيمات.

وتشتمل الميادين التشريعية والتنظيمية على الميادين التشريعية المستنبطة من الشريعة ، وعلى الميادين الإدارية

---

(١٤٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص٤٤٠ .

والسياسية التي هي من اجتهادات البشر في حياتهم المعيشية ، كما تشتمل على الميادين الاجتماعية التي تهتم يأمور المجتمع، أي أنها تشمل ما يلي :

أولاً – دور التربية الإسلامية في الميادين التشريعية

أولاً – دور التربية الإسلامية في الميادين الإدارية

ثانياً – دور التربية الإسلامية في الميادين الاجتماعية

وتبرز توجيهات التربية الإسلامية في هذه الميادين من النواحي التالية:

أولاً – البناء التربوي في الميادين التشريعية

١ – تكوين روح التعلق بالنظام الإسلامي

للإسلام نظامه التشريعي الخاص به، وللأسس التشريعية تفريعاتها التي تحث الأجيال على الالتزام بها، ولذا كان من اللازم تكوين البصيرة بأهمية النظام الإسلامي الذي ينبع من الشريعة الإسلامية. وتعتبر الشريعة الإسلامية هي النظام الوحيد في العالم الذي يصلح لكل متطلبات المجتمع المعاصر . فهذه الشريعة هي نظام دقيق لا يحابي أحداً ولايظلم أحداً، وشامل لكل متطلبات البشر لأنه جاء من رب العالمين، وقد

تمسك بهذا النظام خير القرون، فسعدوا به، وأنقذوا العالم من الفوضى والهمجية التي كانوا يعيشون فيها، ونظموه أحسن تنظيم ، وعبدوه لرب العالمين. ومن أستسلم لهذا النظام الرباني يعطيه ربه الأمن والاستقرار في الدنيا، والفوز في الآخرة، قال تعالى: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة١١٢ .

ليس ذلك فحسب بل إنه لشموله يمتاز بالتوازن، ويتصل بالعقيدة والروح، وبلامس حياة الناس اليومية.ولا شك أن النظام الدقيق يساهم في قوة الحضارة وثباتها وتطورها، مما يُظهر آثاره الإيجابية في جميع جوانب الحياة، وإذا حصل التعلق بالنظام الإسلامي تكون لدى الأجيال روح الانضباط والالتزام بأحكام هذا النظام وقوانينه .

وتعتبر الأنظمة مجموعةً من العقود التي يبرمها الناس فيما بينهم ضمناً أو صراحةً ، وقد أمر الله سبحانه بإيفاء العقود والمواثيق، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ} المائدة١، فالقرآن يغرس في نفوس المتربين اعتقاداً وسلوكاً مفاده أن الله سبحانه وتعالى "أمرنا بالوفاء بجميع العقودالصحيحة التي عقدها علينا، والتي نتعاقد عليها فيما

بيننا... فكل قول أو فعل يعده الناس عقداً فهو عقد يجب أن يوفوا به كما أمر الله تعالى، ما لم يتضمن تحريم حلال أو تحليل حرام مما ثبت في الشرع "[143].

وقال تعالى : {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }النحل٩١ ، يقول القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان، ويلتزمه الإنسان من بيع أو صلة أو مواثقة في أمر موافق للديانة، وهذه الآية مضمّن قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) لأن المعنى فيها: افعلوا كذا ، وانتهوا عن كذا، فعطف على ذلك التقدير"[144].

٢ – توجيه الأجيال للمناصب الشرعية في المجتمع

تعتبر الفتيا من المتطلبات الضرورية للمجتمع المسلم، وذلك لأن الحضارة بفروعها وتشعبها قابلة للنمو، وحوادث العصر واختراعاته متجددة ، وهذا الأمر يقتضي إصدار أحكام وفتاوى تناسب الزمان، وتتلاءم مع أحوال الناس وواقعهم

---

(١٤٣) تفسير المنار، ج٦ص١١٩ .

(١٤٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج٦ص١٦٩ .

في ضوء الشريعة الإسلامية . ومنصب الإفتاء أو التوقيع عن رب العالمين، وإصدار الفتاوى والأحكام مما تحتاجه الأمة في كل وقت، ولا تستغني عنه إذا أرادت أن تتقدم وهي تستضيء بنور الكتاب والسنة، ولذلك فإن للمفتي في الحكومة الإسلامية مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة.

قال تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }التوبة١٢٢ . يقول الإمام القرطبي: "طلب العلم ينقسم إلى قسمين:

فرض على الأعيان كالصلاة والزكاة والصيام.

وفرض على الكفاية كتحصيل الحقوق، وإقامة الحدود، والفصل بين الخصوم ونحوه، إذ لا يصلح أن يتعلمه جميع الناس فتضيع أحوالهم، وأحوال سراياهم، وتنقص أو تبطل معايشهم، فتعين بين الحالين أن يقوم به البعض من غير تعيين، وذلك بحسب ما يسره الله لعباده، وقسمه بينهم من رحمته ورحمته تسابق قدرته وكلمته" [١٤٥].

والتربية الإسلامية لميدان الفتوى تكون ذات جانبين :

---

(١٤٥) المرجع السابق ، ج٨ص٢٩٥ .

الأول : حث الأجيال على الحرص على خدمة الأمة من خلال التبحر في علوم الدين الأصلية والفرعية لتسنم هذا المنصب الرفيع بعد معرفة آدابه وضوابطه ولوازمه، " ولا بد لمن يلي منصب الإفتاء هذا ، لخطورته ، أن يكون على سعة وغزارة من العلم وطول باع ومزيد اطلاع وزيادة في الفضل ، ولقد حذر الرسول ﷺ من الإقدام على هذا المنصب وخوض غماره إلا بالعلم وبين أن من يقدم عليه بدونه مهدد بالعقاب "[١٤٦].

الثاني : معرفة مكانة أهل الفتوى والرجوع إليهم في القضايا والمستجدات التي تشكل لمعرفة حكم الإسلام فيها وهل ورد فيها نص من الوحيين بالمنع أو الإباحة، أو هل ذكرها العلماء، وبناءً على ذلك يكون الفعل أو الترك والإقدام أو الإحجام .

لذلك فإن الأمة محتاجةٌ إلى التوسع في تخصيص أقسام للقضاء والاحتساب والدعوة وغيرها من التخصصات الأكاديمية في الجامعات في كل بلد إسلامي لتغطية هذا الجانب.

***

(١٤٦) تحقيق رسالة أدب الفتيا للسيوطي،ص١٤.

ثانياً - البناء التربوي في الميادين الإدارية

١- التربية على حسن التعامل مع المسئولين والإداريين

حيث يقوم الحاكم والمسؤول بإدارة الأمور وضبطها وفق شرع الله وهذا الأمر يُلزم الشعوب بإعطاء الحاكم والإداري حقوقه الواجبة من طاعة وانضباط ومناصحة ودعاء . فيجب تربية الأجيال على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية كما أمر بذلك المولى عز وجل بقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} (النساء:٥٩)، " أمر بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال أمرهما الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما، وأمر بطاعة أولي الأمر وهو الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعةً لله ورغبةً فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" [١٤٧].

وفي التربية على تعظيم السلاطين واحترام المديرين والمسؤولين إصلاح لأمري الدنيا والآخرة، فيستتب الأمن ويعم الانضباط وتنعدم الفوضى وتنشغل الرعية فيما يعود على الحضارة

(١٤٧) تيسير الكريم المنان لابن سعدي، ص ١٨٤ .

والأمة بالنفع والفائدة، وتأمن من الوقوع في الفتن والتفرق وتلتزم بالجماعة التي أمر بها رسول الله ﷺ حين قال : " (ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة) [148].

وإذا لم يكن هناك قيادة واعية ضابطة للأمور، يختل الأمن، وتصبح الزراعة هامدة، والتجارة كاسدة، وتُغلق المصانع والمستشفيات، وتعطل الطرق والمواصلات، وحينها ينصرف الناس هائمين على وجوههم، حفاة الأقدام حاسري الرؤوس، بحثاً عن الطعام والشراب و الدواء والكساء .

كما أن من واجب الولاة والمسؤولين توفير الحياة الكريمة، وإعطاء الأجور المجزية للعاملين في قطاعات الدولة المختلفة ، قال ﷺ : (من كان له عاملٌ فليكتسب زوجة فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً) [149]. قال أبوبكر: أخبرت أن النبي ﷺ قال: (من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق)وهذه المنزلة من مراعاة أحوال العاملين والموظفين مما

(١٤٨) رواه أحمد في المسند (ج٥ ،ص١٨٣) وصححه الألباني في المشكاة برقم ٢٢٩.

(١٤٩) رواه أبو داود في كتاب الأمارة . صححه الألباني وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

تفتخر به الحضارة الإسلامية التي تحرص على توفير المستويات العليا من الحاجيات والتحسينيات . وهناك متطلبات حضارية وأمور تنظيمية في المجتمع ينبغي تربية الأجيال على معرفتها، للمساهمة بدورهم في تنفيذها على أرض الواقع ومنها :

- دقة تنظيم أمور الإدارات والمؤسسات ومناصحة المسئولين والمديرين التنفيذيين في ذلك.
- الحرص على تطبيق العدالة الشاملة على مستوى الأفراد والجماعات والأقارب والأباعد.
- تحديد واجبات الدولة نحو المواطنين وواجبات المواطنين نحو الدولة .
- تحسين العلاقات مع الدول الإسلامية المجاورة وغير المجاورة .
- المحافظة على حياة الأفراد وأعراضهم وأموالهم وعدم التفريط في ذلك .

٢ - تكوين روح الخضوع والالتزام بالأنظمة واللوائح واحترامها

تضع المجتمعات النامية والمتقدمة أنظمةً وقوانين تسير حياة الأفراد، ويلتزم بها الصغير والكبير، والشريف والوضيع ، ووظيفة هذه الأنظمة حفظ المجتمع من الفوضى والتخبط. لكن

هذه الأنظمة واضحة المعالم في الإسلام ولا يمنع ذلك من الاقتباس من الأمم الأخرى بشرط ألا تكون مخالفةً للشرع . قال تعالى : {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }النساء٥٩، " أي إذا لم يوجد نص على الحكم في الكتاب ولا في السنة، ينظر أولو الأمر فيه، لأنهم هم الذين يوثق بهم، فإذا اتفقوا وأجمعوا وجب العمل بما أجمعوا عليه، وإن اختلفوا وتنازعوا وجب عرض ذلك على الكتاب والسنة وما فيهما من القواعد العامة، فما كان موافقاً لهما عُلم أنه صالح لنا، ووجب الأخذ به، وما كان مخالفاً لهما عُلم أنه غير صالح ووجب الأخذ به، وبذا يزول التنازع وتجتمع الكلمة...وعلى الأمة أن تقبل هذه الأحكام وتخضع لها سراً وجهراً، وهي بذلك لا تكون خاضعةً لأحد من البشر، لأنها لم تعمل إلا بحكم الله تعالى، أو حكم رسوله ﷺ بإذنه، أو حكم نفسها الذي استنبطه لها جماعة أهل الحل والعقد، والعلم والخبرة من أفرادها الذين وثقت بإخلاصهم، وعدم اتفاقهم إلا على ما هو الأصلح لها" [١٥٠].

وفي المجتمع الحضاري لا بد أن توجد القواعد والتنظيمات التي توجه أنماط السلوك، وتوقع العقوبات على

(١٥٠) تفسير المراغي، ج٢ص٢٤٤.

المعارضين سواءً بأقوالهم أو أعمالهم . ومع مرور الزمن تصبح تلك القواعد والتنظيمات سلوكاً معتاداً "واستمرار الأخذ بتلك القواعد والتنظيمات يتحول على المدى البعيد إلى عادات مكتسبة، تؤدي إلى توفير الجهود في العلاقات والمعاملات بين الأفراد، وتسمح للجميع بأداء واجبات متعددة بصورة لا شعورية، في الوقت الذي يكون فيه كل انتباههم موجهاً إلى أعمال أو أشياء أكثر أهمية وأكثر وضوحاً" [١٥١].

فعندما يتربى المتعلمون على الالتزام بالنظام تختفي المحسوبيات، ويجتهد كل فرد ليأخذ حقه المشروع بناءً على كفاءته وقدراته، وليس اعتماداً على قبيلته ونسبه أو (واسطته) . وإذا احترم الجميع النظام شاعت في المجتمع روح المودة والعدالة والمساواة. أما عندما يفرط المجتمع في التزام أفراده بالنظام، يكثر الظلم ويتعارك الناس فيما بينهم ظاهراً وباطناً .

يقول عبدالكريم بكار: "الناس يكرهون الالتزام بالأنظمة لأنها تقيد حريتهم وتمنعهم من بعض رغباتهم، لكن الإنسان لا يترقى إلا من خلال النظام الذي يعد جوهرياً في تحديد سبل وأطر للاستخدام الأمثل للقوة . كما أنه جوهري لحماية الضعفاء والاستفادة القصوى من الموارد والإمكانات المتاحة . ومن

---

(١٥١) علم الاجتماع الإسلامي، ص٩٨ .

الواضح أن لتنظيم بيئات العمل أكبر الأثر في حدوث التقدم العمراني المذهل الذي نشاهده اليوم " [152].

***

(١٥٢) مقال بعنوان: الإنسان لن يرقى إلا بالأنظمة لعبدالكريم بكار، ص٥٩ .

ثالثاً - البناء التربوي في الميادين الاجتماعية

١ - التربية على حسن إدارة أموال المجتمع العامة وتصريفها فيما ينفع الأمة

تعتبر الشؤون المالية من العناصر المهمة في تقوية المجتمعات و بناء الحضارات ، وقد وضع الإسلام قواعد وأصولاً للموارد المالية التي تدخل إلى خزينة الدولة الإسلامية، حيث كانت سابقاً تصب فيما يسمى ببيت المال . يقول حكمت فريحات: " ولبيت المال موارد دورية تُجبى في أوقات معينة من كل عام مثل الزكاة والجزية والخراج ، وموارد غير دورية كخمس الغنائم والركاز، وكانت الدولة تنفق هذه الموارد على المصالح العامة "[١٥٣]. وهناك أيضاً الفيء ومال من لا وارث له والأوقاف وغير ذلك من الموارد . قال تعالى : {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} الأنفال١ .

وحسن التصرف في المال العام يجب أن يسبقه توعية وتدريب على حسن التصرف والتعامل مع المال الخاص ، يقول محمد فرغلي: " ولقد أقر الإسلام الملكية الفردية للمال المشروع

(١٥٣) مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص١٣٧.

... وللإنسان حق الانتفاع بهذه الملكية باعتباره نائباً عن المجتمع في إدارة ما يحوزه" [154].

ومَنْ وضع الله مال الأمة أو جزءاً منه تحت يده فينبغي أن يراقب الله فيه وألا يأخذ شيئاً منه ويضعه في حسابه الخاص لأن الجسد الذي ينبت من الحرام النار أولى به والعياذ بالله . فمن أهم الأمور في تصريف الأموال العامة أن يُغرس في نفوس المتعلمين مراقبة الله وتذكيرهم الدائم بالإيمان باليوم الآخر ، وفي نفس الوقت تعريفهم بمصادر الأموال العامة وطرق تصريفها في أماكنها المستحقة . ولا يمنع هذا كله من الاستفادة من الدورات التدريبية التي تُعطى للإداريين من خلال المعاهد المتخصصة لتنمية الحس الإداري .

كما أن الانتظام في الوظائف والمحافظة على الدوام لها قيمة اقتصادية عظيمة للأمة وتوفر آلاف ساعات العمل .

٢ - تفعيل نظام الأوقاف الإسلامية لتنمية المجتمعات وتقدمها

تمتاز الشريعة الإسلامية باحتوائها على نظم اجتماعية وأحكام فريدة، تحقق النمو والانتعاش للمجتمع المسلم

---

(١٥٤) البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام ،ص١٥١.

وأفراده، وهي تهدي للتي هي أقوم في جميع المجالات، وينبغي من خلال التربية إبرازها للمتربين كي يعملوا بها ويوظفوها لصالح المجتمع.ومن أمثلة هذه النظم نظام الوقف الإسلامي، حيث يعتبر الوقف الإسلامي من مآثر الحضارة الإسلامية التي تعتز بها، وهو من البدائل التي ينبغي أن تُفعل في المجتمعات للقيام ببرامج التنمية ومشاريع الإعمار المختلفة.

والوقف كما عرفه صالح السدلان: "تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة بصرف ريعه إلى جهة بر تقرباً إلى الله تعالى، والمراد منع المالك نفسه وغيره من التصرف بنقل ملكية الموقوف إلى أحد "[١٥٥].

ودليل الوقف ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخيبر فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها فقال : يارسول الله إني أصبت أرضاً بخيبر لم أُصب مالاً قط أنفس عندي منه فما تأمر به؟ قال (إن شئت حبَّست أصلها وتصدقت بها) قال : فتصدق بها عمر أنه لايباع ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله

(١٥٥) المسجد ودوره في التوجيه وعلاقته بالمؤسسات الدعوية في المجتمع، ص٧ .

وابن السبيل والضعيف، ولاجناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول [156].

إن انتشار الأوقاف في المجتمعات الإسلامية يحقق كثيراً من المشاريع والأنشطة التي قد تعجز الدول أن تقوم بها، أو لا تتمكن من إنجازها في وقت سريع أو على أكمل وجه. كما يوفر الأموال اللازمة لدعم المشروعات الإنمائية، والأبحاث العلمية، ومصالح الشعب المختلفة ، هذا إضافةً إلى أنه مصدر دخل لبعض أفراد المجتمع وتحقيق لجانب التكافل الاجتماعي في الأمة. يقول عبدالله العويسي: "وقد أدى الوقف إلى ظهور العديد من الجوانب الخيرة على مستويات عدة المعرفي والقيمي والتنظيمي والاجتماعي. فمن الناحية المعرفية كان له اليد الطولى في نمو العلوم والحركة العلمية، ومن الناحية القيمية أثمر في تجسيد قيم الأخوة والتكافل والإحسان وغرس قيم المسؤولية والمبادرة وأداء الواجب لدى الفرد ... ومن الناحية التنظيمية أثر في ظهور فقه الوقف ، كما أنه أسهم في ظهور الفكر الإداري بما تطلبته مؤسسات الوقف من إدارة ...وقد

---

(١٥٦) رواه البخاري في كتاب الشروط باب الشروط في الوقف.

نهض الوقف برسالة ضخمة في إقامة المؤسسات الخيرية ورعايتها، وبرزت أهميته بوجه خاص في توفر الرعاية الاجتماعية للطبقات الضعيفة والفقيرة ولكل محتاج إلى العون والرعاية كابن السبيل وطالب العلم والمريض بل اتسع نطاقه ليشمل أوجه الحياة الاجتماعية" [157].

ومن الآثار الحضارية للوقف الإسلامي ما ذكره أحمد الدريويش [158] فيما يلي :

" أ – أن الوقف لا يقتصر على الفقراء ومساعدة الضعفاء وبناء المساجد والإنفاق عليها فحسب وإنما يمتد نفعه ليشمل كثيراً من المجالات التي تخدم البشرية كبناء المدارس والمؤسسات التعليمية المختلفة خدمةً للعلم وطلابه ... كما يعد عاملاً من عوامل نشر الإسلام وتبليغه وتكثير سواد المسلمين، وتشييد المشافي والمصحات المختلفة (المستشفيات) لخدمة المرضى ومداواتهم ... فضلاً عن إسهامه في البنية الأساسية والمرافق العامة كالطرقات وحفر الآبار والسقايات والجسور والقلاع.

---

(١٥٧) الوقف .. مكانته وأهميته الحضارية،ص١٤ .

(١٥٨) الوقف .. مشروعيته وأهميته الحضارية ، ص٤٤- ٤٥.

ب - أن في الوقف إسهاماً في تخفيف العبء على أجهزة الدولة ذات العلاقة بمجالاته وتقليل النفقات والمصروفات المالية على موازنة الدولة " .

ومما سبق ذكره نلخص دور التربية الإسلامية في هذا الميدان بالأمور التالية :

أ – التوعية بأهمية الوقف ومشروعيته وأجره العظيم عند الله .

ب – إبراز دور الوقف وأثره في تفوق الحضارة الإسلامية .

ج – إظهار المجالات المتاحة والميادين المهمة التي يمكن للوقف أن يساهم بها في العصر الحاضر لرفع شأن الأمة، وتوسيع مفهومه لكي يشمل شتى المجالات المؤدية للتطور والتقدم.

د – تربية الأجيال على البذل والإنفاق والإكثار من التبرعات وخاصة في باب الصدقات الجارية .

هـ – تدريب المتربين عل المشاركة التطوعية في المجالات الوقفية تأسيساً وإدارةً لخدمة الأهداف التنموية والنهوض بالمجتمع ورقيه نحو الأفضل .

٣ – غرس القيم الاجتماعية في الأفراد

هناك العديد من القيم الاجتماعية التي يحسن بثها في نفوس المتربين، وبها يكتمل عقد المجتمع الحضاري الفريد، ومن هذه القيم :

أ - تكوين روح الفضيلة وإيثارالمصالح العامة على المصالح الشخصية .

ب - إشاعة أخلاق التعاون مع الآخرين، وتوزيع الجهود والموارد .

ج – نشر قيم الكرم والبذل، وعدم الاستئثار بالمكتسبات المادية والمعنوية.

ج - تكوين روح التضحية من أجل رفع مكانة المجتمع بين المجتمعات.

وهذه من القيم النبيلة التي لا يرقى إليها إلا المتربون على المستويات العليا من الأخلاق الفاضلة الذين يحرصون على نفع مجتمعاتهم وأمتهم .

قال تعالى : {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ

فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} التوبة١١١.

وقال أيضاً : {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }الحشر٩.

***

الخاتمة

تبين من خلال فصول هذا الكتاب دور التربية الإسلامية في بناء المجتمع الفعال، وكان القرآن الكريم والسنة المطهرة هما الأساس في توضيح هذا الدور ، وقد توصل إلى النتائج التالية :

- احتوى القرآن الكريم على الهداية الشاملة للأفراد والمجتمعات في جميع نواحي الحياة .
- يمكن الاستفادة من علم الاجتماع التربوي في توجيه الأجيال للإصلاح والبناء .
- إن تحقيق أهداف المجتمع والبلوغ إلى درجات الرقي الحضاري يستلزم تظافر الجهود وإكمال الثغرات وسد النقائص في مختلف جوانب الحياة البشرية .
- لا بد من تعاون كافة المؤسسات التربوية الحكومية والأهلية والتطوعية لتحقيق بناء المجتمع الفعال .
- يمكن أن يتم البناء التربوي الفعال من خلال المجالات التالية: المعنوية والمادية والتنظيمية.
- تشمل الميادين المعنوية: الميادين الاعتقادية والروحية والأخلاقية – الميادين الأدبية والفنية .

- تشمل الميادين المادية :الميادين الغذائية والميـادين الصـناعية، والميادين التجارية ،و الميادين العسكرية ، والميادين التقنية ، و الميادين الصحية والطبية ، و الميادين العمرانية .
- تشـمل الميـادين التنظيميـة : الميـادين التشر-يعية،والميادين التنظيمية، و الميادين الاجتماعية .

***

المصـــادر

- القرآن الكريم
- موسوعة الحديث الشريف (١٤٢٠) ، الكتب الستة : صحيح البخاري - صحيح مسلم – سنن أبي داود – سنن الترمذي – سنن النسائي – سنن ابن ماجة . طبعة مصححة ومرقمة ومرتبة حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف ومأخوذة من أصح النسخ . بإشراف ومراجعة فضيلة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ . الرياض : دار السلام .

المراجـــع

- الاتجاه نحو التقنية الحديثة وعلاقته بالنسق القيمي المتصور والواقعي، إبراهيم مهنا المهنا. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم علم النفس بكلية التربية ، جامعة الملك سعود ، الرياض، ط١٤١٣ .
- الأسـاس العقائـدي لنهضـة المسـلمين العلميـة والحضـارية يحـي عبدالفتاح باقـاسي. رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة. قسـم التربيـة الإسـلامية والمقارنـة بكليـة التربيـة ، جامعـة أم القـرى، مكـة ، ط١٤٠٩ .
- الإسلام.. أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية. أبو الحسن علي الندوي (ت١٤٢٠) جدة : دار المنارة، ط١٤٠٧ .

- الإسلام وحضارة الغد. يوسف القرضاوي. القاهرة : مكتبة وهبة، ط١٤١٦.
- الإسلام وعدالة التوزيع . محمد شوقي الفنجري . الرياض: دار ثقيف، ط١٤٠٤ .
- الإسلام في المعترك الحضاري ، عمر بهاء الدين الأميري. الرياض: الدار العالمية للكتاب، ط ١٤١٤ .
- الإسلام ومستقبل الحضارة . صبحي الصالح. دمشق : دار قتيبة، ط١٩٩٠ .
- الإسلام و الوعي الحضاري ، أكرم ضياء العمري . جدة: دار المنارة ، ط١٤٠٧ .
- إعداد الطبيب للرعاية الصحية الشاملة، د حسني الرودي . مكة : جامعة أم القرى، ط١٤١٦.
- الأمة المسلمة .. مفهومها،مقوماتها، إخراجها. ماجد عرسان الكيلاني. مكة: دار الاستقامة، ط١٤١٥ .
- الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة . د علي بخيت الزهراني. مكة: دار الرسالة،ط١٤١٥ .
- أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها ، محمد محمد المختار الشنقيطي . المدينة : جائزة المدينة المنورة ، ط١٤١٨.
- أصول التربية الإسلامية ، تأليف : محمد شحات الخطيب، ومصطفى محمد متولي ، ونور الدين محمد عبدالجواد ، ومحروس غبان ، وفتحية الفزاني . الرياض : دار الخريجي ، ط ١٤١٥ .

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣). خرج آياته وأحاديثه الشيخ محمد الخالدي.بيروت: دار الكتب العلمية،ط ١٤١٧.
- الإنسان لن يرقى إلا بالأنظمة. عبدالكريم بكار.مقال في مجلة الدعوة (العدد ١٨١٤)،شعبان١٤٢٢ هـ. الرياض: مؤسسة الدعوة الصحفية .
- البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام. محمد محمود فرغلي. مكة: رابطة العالم الإسلامي ،ط١٤٠٢.
- التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي، د. علي خليل أبو العينين .. الركائز والمضامين التربوية . المدينة المنورة : مكتبة إبراهيم حلبي ، ط ١٤٠٧ .
- تحديد منابع المشكلات الاقتصادية للمجتمع المسلم وحلها من خلال التعليم.. نموذج مقترح للخلاص من التبعية الاقتصادية. عبدالغني غالب . بيروت: دار ابن حزم، ط١٤١٤ .
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور . سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. بيروت: مؤسسة التاريخ، ط١٤٢٠هـ .
- تحقيق رسالة أدب الفتيا للسيوطي، محمد الرواشدة ومحمد عماوي. بيروت: المكتب الإسلامي،ط ١٤١٥.
- تفسير القرآن، الإمام العلامة حجة أهل السنة والجماعة أبي المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي الشافعي

السلفي(ت٤٨٩) . تحقيق أبي تميم ياسر إبراهيم و أبي بلال غنيم عباس . الرياض: دار الوطن،ط١٤١٨ .
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير.بيروت: دار المعرفة، ط١٤٠٠ .
- التفسير الكبير . الفخر الرازي محمد عمر حسين(ت٦٠٧) .طهران: دار الكتب العلمية، (دت).
- تفسير الماوردي، النكت والعيون. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري. (ت٤٥٠) راجعه وعلق عليه : السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم . الرياض: مكتبة المؤيد،ط ١٤١٢ .
- تفسير المراغي، صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفى المراغي. خرج آياته وأحاديثه باسل عيون. بيروت : دار الكتب العلمية ،ط١٤١٨ .
- تفسير المنار، الإمام محمد رشيد رضا . بيروت: دار الفكر، (دت) .
- تفوق الإسلام في مجال الفنون المرئية ودور الشباب المسلم في حفظ وتنشيط هذا التراث. سيد منظور . ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الرابع (الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم) المنعقدة في ٢٠-٢٧ ربيع الثاني . الرياض : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط١٤٠٥ .
- توجيه المتعلم إلى منهاج التعليم في ضوء التفكير التربوي الإسلامي . مقداد ياجن . الرياض : دار عالم الكتب ، ط١٤١٦ .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي(ت ١٣٧٦). قدم له الشيخ عبدالله العقيل والشيخ محمد بن عثيمين.بيروت: دار الرسالة، ط١٤٠٣ .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد الأنصاري القرطببي (ت٦٧١). بيروت: دار المعرفة،ط١٣٧٢ .
- الجانب الآخر من الحضارة الغربية . نشوان عبدالمحسن النشوان. دار نشر : بدون ، ط١٤١٣ .
- جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مقداد ياجن. الرياض: مكتبة المعارف، ط١٤٠٦.
- حتى يتحقق الشهود الحضاري . عمر عبيد حسنة .بيروت المكتب الإسلامي، ط١٤١٢ .
- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ . عبدالعزيز إبراهيم العمري . الرياض: بدون، ط١٤٠٥ .
- خصائص مدرسة النبوة . كمال محمد عبسى . جدة: دار الشروق، ط١٤٠٢.
- دراسة وتحقيق كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال. أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١٤٠٦ .
- دور التربية الإسلامية الحضارية في مواجهة التحديات والغزو الحضاري . مقداد ياجن . ضمن سجل بحوث ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج . مسقط: سلطنة عمان ١-٣ شعبان ١٤٠٥. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١٤٠٨ .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت١٢٧٠). بيروت: إحياء التراث العربي .
- زاد المسير في علم التفسير . عبدالرحمن بن علي بن الجوزي(ت ٥٩٧). بيروت: المكتب الإسلامي ، ط١٤٠٤ .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيئ من فقهها . محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠) . الرياض: مكتبة المعارف، ط١٤١٥ .
- الاستصناع.. تعريفه، تكييفه، حكمه، شروطه، أثره في تنشيط الحركة الاقتصادية. سعود سعد الثبيتي . مكة: المكتبة المكية، ط١٤١٥ .
- العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية . محمد جمال محفوظ . مكة: رابطة العالم الإسلامي، ط١٤٠٥.
- علم الاجتماع الإسلامي . د.زيدان عبدالباقي . القاهرة : مطبعة السعادة ، ط١٩٤٨ .
- علم الاجتماع التربوي ، د. عبد الله زاهي الرشدان . عمان : دار عمار، ط ١٩٨٤ .
- العمل وتطبيقاته .. ركن القيم الكبرى- غاية الغايات – قوام الحضارة الخالدة . نذير حمدان . دمشق: بدون، ط١٤١٢ .
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري. أحمد بن حجر العسقلاني (ت٥٥٢) . الرياض : مكتبة الرياض، ط١٤١٦.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي الشوكاني(ت) . بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط:١٤١٨ .
- فقه السنة . السيد سابق . بيروت: دار الكتاب العربي ، ط ١٤٠٧ .
- لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي، جيران في عالم واحد . سلسلة عالم المعرفة. ترجمة مجموعة من المترجمين، مراجعة عبدالسلام رضوان، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط ١٤١٦ .
- مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. حكمت فريحات وإبراهيم الخطيب. عمان:دار الشروق، ط١٩٩٩ .
- المرشد في كتابة البحوث التربوية. د عبدالرحمن صالح و حلمي فودة. مكة : المنارة، ط:١٤٠٨ .
- المجتمع الإسلامي . محمد أمين المصري .الكويت: دار الأرقم . ط ١٤٠٠ .
- المسجد ودوره في التوجيه وعلاقته بالمؤسسات الدعوية في المجتمع .صالح بن غانم السدلان. الرياض: دار بلنسية، ط١٤٢٠.
- المصباح المنير في تفسير ابن كثير. اختصره مجموعة من العلماء. الرياض: دار السلام، ط ١٤٢٥ .
- مصطلحات ومفاهيم الحضارة . مجلة البيان . السنة الرابعة عشرة، العدد ١٤٦ شوال. لندن: المنتدى الإسلامي .
- منجزات الحضارة الإسلامية في ميادين العلوم والفنون.عبداللطيف حاجي إبراهيم، عبداللطيف. ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الرابع

(الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم) المنعقدة في ٢٠-٢٧ ربيع الثاني. الرياض : الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط١٤٠٥ .
- مع العقيدة والحركة والمنهج في خير أمة أخرجت للناس. علي عبدالحليم محمود. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١٣٩٨ .
- معجم علم الاجتماع ، دينكن ميشل ، ترجمة د. إحسان محمد الحسن. بغداد: دار الرشيد، ط ١٩٨٠.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، مراجعة الشيخ بكر أبو زيد. الدمامك دار ابن عفان، ط١٤٠٥.
- نحو حضارة إسلامية . محمد الغزالي . كتاب المؤتمر التاسع : الإنسان ومستقبل الحضارة .. وجهة نظر إسلامية . عمان: مؤسسة مآب (المجمع الملكي لبحوث الحضارة)، ط١٩٩٣ .
- الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة . لولوة صالح العلي . الدمام: دار ابن القيم، ط١٤٠٩ .
- الوقف .. مشروعيته وأهميته الحضارية . أحمد يوسف الدريويش. بحث مقدم لندوة (مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية) . الرياض: وزارة الشئون الإسلامية ، ط١٤٢٠.
- الوقف .. مكانته وأهميته الحضارية عبدالله العويسي . بحث مقدم لندوة (مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية) . الرياض: وزارة الشئون الإسلامية ، ط١٤٢٠.

***

المحتويات

هذا الكتاب

يبين هذا الكتاب البناء التربوي الإسلامي لإقامة المجتمع المسلم الفعال، وذلك وفق توجيهات القرآن والسنة التي تدعو لتعمير الكون والاستفادة من مخزونه وأسراره، وتوظيفه لخير البشرية. وتبرز أهمية الكتاب في حاجة المجتمعات المسلمة للمنافسة في ميادين الحياة، وضرورة الاستفادة من التربية للتغيير نحو الأفضل، والتأثير في مسيرة الحياة المعاصرة .

كما أن هذا الكتاب يهدف إلى توضيح مجالات تفوق المجتمع الإسلامي، ويحث الأجيال للمشاركة في تحقيق الاكتفاء الذاتي في جميع مجالات الحياة، والمشاركة الإيجابية في تقدم المجتمع وتفوقه.

إن تحقيق أهداف المجتمع المسلم، والبلوغ إلى درجات الرقي، يستلزم تضافر الجهود وإكمال الثغرات وسد النقائص في مختلف جوانب الحياة البشرية، ولابد من تعاون كافة المؤسسات الحكومية والأهلية والتطوعية لتحقيق بناء المجتمع الفعّال.

ردمد ٢٤٣٤ - ١٣١٩ ISSN